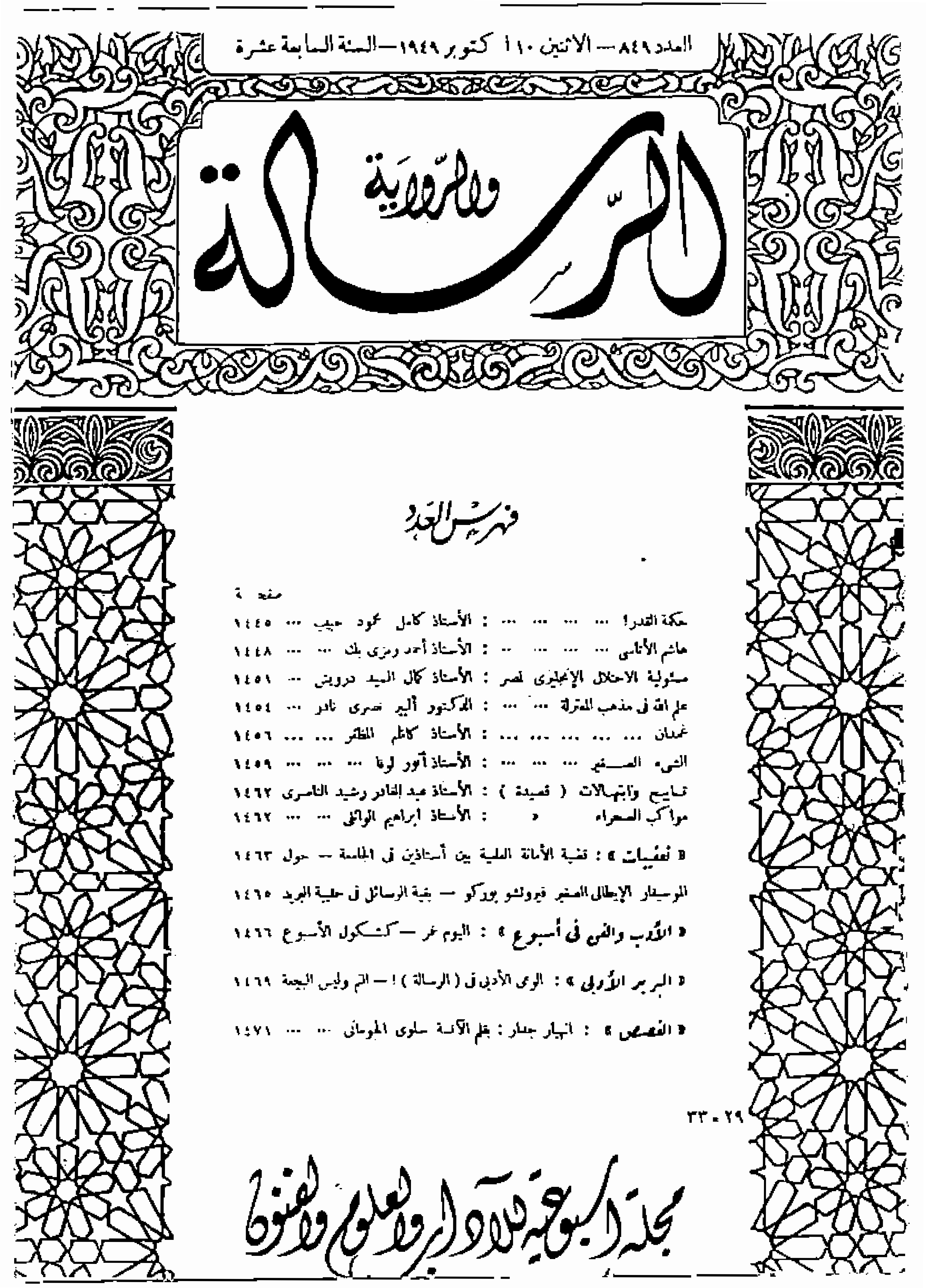


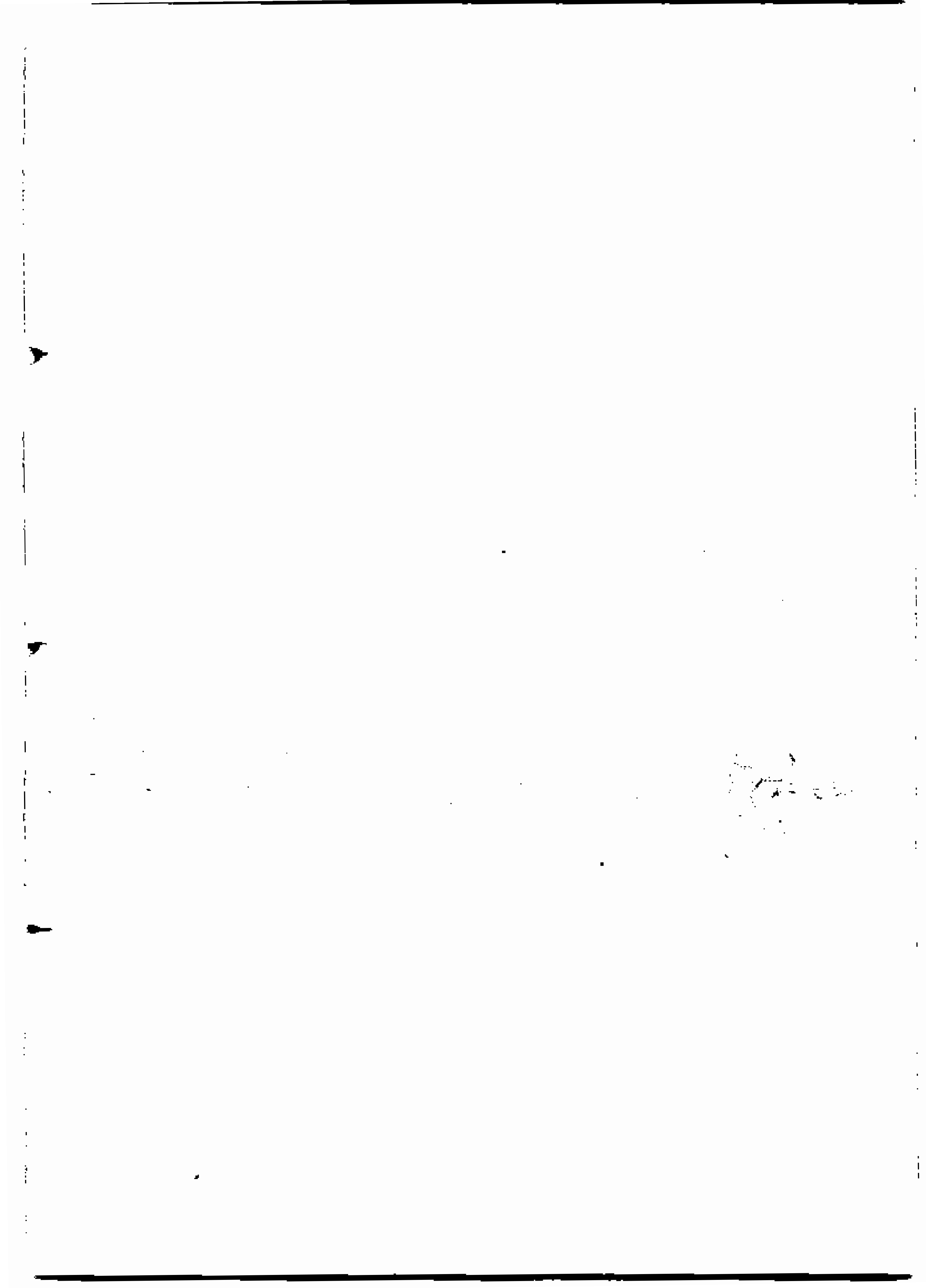
العدد ٨٤٩ — الاثنين ١٠ أكتوبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٩ - ٣٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



17e Année No. 849

Lundi — 10 — 10 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة

مص

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٨٤٩ « القاهرة في يوم الاثنين ١٨ ذو الحجة سنة ١٣٦٨ — ١٠ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

صور من الحياة :

حكمة القدر !

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا لحكمة القدر ! أتؤمن يا من تسخر من قوانين الحياة وأنت في عنفوان الصبا ، وتهزأ بتقاليد الأسرة وأنت في فورة الشباب ، وتعبث بقواعد الأخلاق السامية وأنت في ريعان العمر ... أتؤمن يا من تفعل كل ذلك غروراً منك وجهلاً بأن الحياة تمهلك حيناً لتنقضّ عليك كالصاعقة الهوجاء فتسلبك من شبابك وقوتك وتذرك وحيداً في ركن من الدار تأكلك الحسرة على أن انطوت سنوات عمرك المشرق عجافاً لم تذق السعادة في الدار ولا اللذة في الولد ، ولا الراحة في الزوجة !

لقد ضننت بقلبك ومالك يوم أن كنت في الشباب النضير ، والقوة العارمة ، فصفرت حياتك — وأنت تحبو نحو الشيخوخة الباردة — من قلب ينبض بحبك ، أو فؤاد يخفق بالعطف عليك !

* * *

نشأ الفتى في كنف أبيه وهو يدلّله ، ونما واشتد غرسه في رعاية أمه وهي تحنو عليه ، وعاش بينهما سعيداً ، رضيّ البال ، مطمئن الخاطر ، يبذل جهد الطاقة في الدرس ، ويستنفد وسع النشاط في المدرسة ، لا تشغله نوازع الحياة ، ولا تتوزعه مسارب الرزق ، وأبوه رجل فيه العطف والحنان ، وفيه الثراء والعقل ...

وأحس الفتى بالعاطفة الأبوية تتدفق من قلب أبويه تغمر حياته بالنشوة والسعادة ، فأحب أمه وعلق بأبيه على حين قد حل لأخيه الأكبر لوماً وعتاباً لأنه طاوع شيطانيته الطائشة ، فنبذ المدرسة ولمّا يحظ من العلم إلا قطرات لا تغني من جهل ولا تدفع من سفه ... نبذ المدرسة ليكون موظفاً صغيراً ينعم بالوظيفة الوضيعة ، ويستمتع بالراتب الضئيل ، ثم دفعه شبابه — بعد أن خلص من المدرسة — إلى أن يحدث أبويه حديث قلبه ، فما تلبث الأب ، ولا تسوّفت الأم ، فإذا هو ينتظر الزوجة تزف إليه — والزوجة فتاة من بنات الجيل الفائت ، فيها أثر النعمة ، وعليها سمة الجمال ... ورأى الفتى الفتاة وهي تزف إلى أخيه الأكبر ... فاختلج قلبه ، وأخذته روعة المنظر ، وخلبته أنوار الزواج ، فتمنى أن تنطوي السنوات في سرعة ليصبح هو الآخر زوجاً ورب أسرة . وأحس الأب بما يختلج في نفس ابنه الأصغر ، فجلس إليه يحدثه بقلب الأب : « متى — متى يا بني

أسعد بزواجك أنت ؟ » فقال الفتى : « إن الزواج يا أبت يحول بين المرء وبين الدرس ، فما يستطيع العقل أن يفرغ للدرس والقلب مشغول بالزوجة ، وأنا أطمع أن أكون مهندساً كبيراً » قال الأب : « إن الأيام — يا بنى — تمر فى غير تمهل ، وغداً تنال الشهادة العالية . حينذاك أستطيع أن أعوضك عما لم أبذله فى سبيل أخيك » ...

واطمأنت نفس الفتى ، ودفعته عزيمته إلى أن ينكب على الدرس فى غير هوادة ولا لين ليخلص من الدرس إلى الزوجة ، وتأججت الفكرة فى خاطره ، فانطلق على سننه ليبلغ الغاية ... فبلغ ... ولكنه لم يصل إلى نهاية الشوط ... إلى دبلوم الهندسة الملكية ... إلا ليرى أباه يلفظ النفس الأخير !

لم يلمس الفتى فرحة النجاح ، ولا نشوة الوظيفة ، وإن قلبه لينتفض من أثر الأسى والضيق لموت أبيه ، وإن أمه إلى جانبه تحس فراغ القلب ، وفراغ الدار ، لأنها فقدت الزوج والعائل !

أما أخوه الأكبر ، فجاء يطلب نصيبه من ميراث أبيه ولما تجف العبرات فى محجرى أمه ... جاء يطلب نصيبه ويلح فى الطلب ليستعين به — كزعمه — على حاجات العيش وطلبات الدار ... !

وحاول الفتى أن يملأ فراغ الدار ، فلصق بأمه يعينها على أمرها ويهيئ لها رغباتها عسى أن ينزع عن قلبها بعض همه . وعز عليه أن يصر أخوه الأكبر على أن ينزع بعض تركة أبيه من بين يدى أمه ، فاحتقر الزواج احتقاراً انجابت له أخيلته القديمة ، وهى كانت لذيذة جذابة ... انجابت حين أحس أن الزواج وحده هو الذى قذف بأخيه إلى أن ينكأ جراح قلب أمه كلما أوشكت أن تندمل !

وأرادت الأم — بعد سنة — أن ترى ابنها الأصغر زوجاً ورب أسرة ، فتحس فيه فرحة قلب صفه الحزن ، ولكن الألم كان ما يبرح يضرب الفتى ضربات قاسية كلما تراءى له الأخ الأكبر وهو ينزع بعض ميراث أبيه من بين يدى أمه ، ثم يهجرها لا يعبأ بنزعات قلبها ، ولا يرحم ضعفها . وخشى أن ترغمه الزوجة — يوماً — على أن يفعل ما فعل أخوه فيذر أمه وحيدة تحس فقد الزوج والابن فى وقت معاً !

وعاش الفتى ابن أمه المطيع ، وخادمها الأمين ، والأيام تمر سراعاً ، حتى عصف بها الحزن ، وقصمتها السنون فماتت ... ماتت وخلفت له — فيما خلفت — خادماً تقوم على راحته ، وترعى شأنه !

وأحس الفتى بفراغ داره ، وفراغ قلبه ، وفراغ حياته ، وهو يدلف رويداً رويداً إلى الكهولة الفارغة ، وإن الشعرات البيض لتأخذ طريقها إلى فوديه فى غير ريث ولا مهل ، وإن الضعف ليتسرب إلى أوصاله فى غير ونى ولا بطء ... فانطوى على نفسه وفيه الخجل والحياء ، وسكن إلى عمله يجد فيه السلوة والهدوء ، والخادم إلى جانبه تدرج إلى الشباب والنضوج ، وهى فتاة من بنات الريف جاءت من القرية لتخدم سيدتها ، ولتتعلم هنا — فى القاهرة — أموراً لا يرقى إليها عقل ابنة القرية ... أموراً فيها اللهو والعبث ، وفيها الشره إلى المال ، والتكالب على الزينة ، وفيها المكر والخداع !

وتيقظت الأنثى فى قلب الفتاة ، فانطلقت تتودد إلى سيدها فى لطف ، وتتقرب منه فى رقة ، والدار خواء إلا منهما معاً ...

واستشعر هو العطف يشع من شبابها ومن أنوثتها ، فهبت فى نفسه دواعى الرجولة المكفوفة منذ زمان ، فما ترفع عن أن يمد يده ولسانه على حين أنه يكبرها بسنوات وسنوات ...

وابتسمت الفتاة لسيدها فى لين ، ولصقت به فى تكسر ، وعقلها يحدثها بأنها توشك أن تحتله عن رجولته وماله ، وأن تسيطر على الدار التى عاشت فيها — زماناً — خادماً لا تظفر إلا بالتافه ، ولا تنال إلا الحقير .. وراحت الفتاة تمكر بسيدها وتخدعه عن نفسه حتى أسهل وانقاد ، وظلت إلى جانبه سنوات تسيطر على خواطره الحائرة وهو يستخذى ، وتعلك نوازعه الثائرة وهو يتصاغر ، فبادت فى غوايتها تذيقه ألواناً من الحرمان ، وفنوناً من الضيق لتدخر ماله لنفسها وتستعده لحاجتها !

يا عجباً ! لقد أصبح الرجل مهندساً كبيراً فى وزارة الأشغال ،

له من منصبه الجاه والثراء ، وله فى عمله العزة والسلطان ، ولكنه يحس الضياع ويستشعر الضيق لأنه يعيش فى داره غريباً وهى خواء إلا من خادم لعوب تسيطر عليه فتسلبه المتعة فى ماله وتحرمه السعادة فى قلبه .

لقد طوت السنون كل آماله ، فمات الحنان فى قلب أبويه ، وطارعنه العطف فى قلب أخيه الأكبر ، وذوت أمانية جميعاً فغدا محروماً من أحبائه : الزوجة والولد والدار ، لا يجد السبيل إليهم وإن جهد .

وأرادت الأيام أن تسخر من المهندس الكبير مرة أخرى فسولت للخادم اللعوب أن تلصق به — ذات مرة — وتحدثه حديث أملها هى ، وتوحى إليه بأمر ، قالت . « وأنا أخشى أن تتناولك الألسن ، فتصبح مضغة فى الأفواه فتنهار كرامتك ، وينحط قدرك ، فدعنى أبحث عن عمل آخر » وأحس المهندس الكبير بالصدمة تكاد تذهله فهو لا يطيق أن يعيش وحده بعد أن حطمته السنون ، فقال « وأنا ؟! ... أفأعيش هنا وحيداً ؟ » قالت « فإن استشعرت الألم لفراق فدعنى أتزوج من فلان ، وهو خادم فى المنزل المجاور ، فأكون له زوجة بالليل وأكون لك خادماً بالنهار ! » وتهلل وجه الرجل الخاطر ، واطمأن قلبه .

وهم الرجل يهيء لزواج الخادمين وينفق من ماله عن سعة ويبذل فى سخاء ، ثم زفت الزوجة — ذات ليلة — إلى زوجها ...

وفى الصباح بكر المهندس إلى دار الزوجين ، وبين يديه هدية ثمينة يطمع أن يخطف بها قلب الزوجة وأن يسترضى الزوج . ولكن لشد ما أصابه الذهول حين رأى الدار خاوية إلا من أشياء تافهة متناثرة هنا وهناك . لقد طارت الزوجة بين ذراعى زوجها إلى حيث لا يعلم بعد أن سلبته ماله وقوته .

وارتد الرجل إلى داره يجرر أذيال الخيبة والحسرة . ارتد ليرى داره خالية إلا منه وهو يتهالك ضعفاً وفتوراً تأكله الوحدة وتلهمه الوحشة .

فيا لسكة القدر ... يا لسكة القدر ! .

كامل محمود حبيب

صحائف مطوية في السياسة العربية :

هاشم الأتاسي

في سنة ١٩٣٩ وفي عام ١٩٤٣

للأستاذ أحمد رمزي بك

إن الانقلاب الذي قام به المندوب السامي الفرنسي المسيو جبريل بيو عند تعيينه مندوباً سامياً لفرنسا في أوائل سنة ١٩٣٩ كان يرمي إلى إيقاف العمل بالمعاهدتين اللتين عقدتهما بلاده والعودة إلى النظام السابق .

وترتب على هذا إبطال الدستور في سوريا ولبنان والعودة إلى تأكيد الاستقلال الذاتي أو الاداري الذي كان يتمتع به كل من جبل الدروز وإقليم العلويين .

وبنت فرنسا الأسباب المبررة لاتخاذ هذه الخطوة على تطرق الفساد إلى الأنظمة البرلمانية القائمة وتدهور الحكم الوطني في كل من البلدين وما سببه من انتشار الرشوة والتغاضي عن تنفيذ العدالة ، والإسراف في إنفاق الأموال العامة وإضاعتها على الأقارب والمحاسيب ، ثم ما أصاب الأقليات من ظلم واضطهاد جعل رجالها يستصرخون بممثل فرنسا ويطلبون إنقاذهم مما هم فيه . وكانت هذه الحملات المغرضة موجهة بالذات إلى سوريا وإن كان أصاب لبنان رذاذ منها بحكم اشتراكه مع جارته في إمضاء معاهدة تشبه أو تقارب المعاهدة التي أمضتها فرنسا مع سوريا . ولقد قام الحكم الوطني في سوريا على أساس دستوري سليم وخيل إلى القائمين بالأمر أنه يكفي إمضاء المعاهدة ثم التصديق عليها لكف اليد الفرنسية عن التدخل في أمرهم والسيطرة على الشئون الداخلية التي أصبحت من اختصاص الحكومة السورية وحدها ولا شأن لفرنسا فيها بعد أن سلمت السلطات إلى الرجال الذين جاءوا إلى الحكم بمقتضى قواعد الدستور الذي وضعته فرنسا أو وافقت عليه

ولم يتبادر إلى ذهن الوطنيين خطر الرجوع في هذه الاتفاقات بعد إمضائها إذ كانوا على يقين من أن أغلبية الشعب السوري تؤازرهم وإن البلاد تؤيد بإجماع الاستقلال التام وتأكيد الحياة الدستورية .

وكان جيش الدولة المنتدبة يحتل البلاد وتخضع قوات الأمن العام وغيرها من القوات المسلحة لضباط من الفرنسيين ، وكان أعظم ما تظهر قوة العسكريين في الأماكن المتطرفة على الحدود أو في المقاطعات التي تتمتع بإدارة ذاتية ، وكان ضباط الارتباط الفرنسيون يمثلون قوة الدولة المنتدبة الحاكمة . ولما كان أغلبهم تأتي به فرنسا من المناطق الخاضعة للحكم العرفي من مستعمراتها في شمال أفريقيا فقد جاءوا ومعهم عقلية وأساليب فرنسا في مستعمراتها ، فنادى بعضهم في الاستهانة بممثل الحكم الوطني وظن أن من اختصاصه إقامة العدالة — كما يفهمها — وإيقاف تنفيذ الأحكام وإعفاء المحظوظين من دفع الضرائب .

وهكذا برهنت الحوادث على تعذر قيام السلطتين معاً وأن هذه الحالة لا بد أن تؤول إلى تغلب السلطة الأجنبية المنتدبة التي يدعمها جيش الاحتلال . فهل تمهلت الحكومة الوطنية في تعيين ممثلها في أماكن بعيدة اعتادت تجاهل وجود حكومة دمشق منذ قيام الانتداب ؟ وهل أحسنت صنعاً في تسلم السلطات المباشرة في المقاطعات التي كانت تتمتع باستقلالها ؟ هذه أسئلة من الصعب الإجابة عنها ، ولكن الذي ظهر من أثر هذه السياسة أن رجال الحكومة المركزية تعرضوا للاهانات في بعض الجهات خصوصاً بعد حادث اختطاف محافظ الجزيرة الوطني في داخل حدود المقاطعة التي جاء ليحكمها وصب على الحكومة الوطنية عابثهم

وهكذا ضج السوريون جميعاً من تدخل سلطات الانتداب ومن سكوتها على هذه الأعمال ومن تشجيع بعض ممثليها واشتراكهم في تدبيرها ، وألقيت في البرلمان خطب حماسية شديدة اللهجة ولكن صداها لم يتعد الأماكن التي ألقيت فيها ، وكتبت مقالات قوية الحجة ولكن أثرها لم يتعد أعمدة الجرائد التي نشرتها

في وسط هذه الظروف القائمة والمعجات المتتالية وجد رئيس الجمهور هاشم بك الأتاسي بين قوتين لا قبل له بأن يوفق بينهما . ولما كانت آمال الشعب السوري وحرياته أمانة في عنقه وكان يعتقد أن التساهل مع الفرنسيين ولو مرة واحدة سيؤدي إلى سلسلة لا نهاية لها من التفريط في حقوق الوطن ، فضل الاحتفاظ

بكرامة البلاد واستقلالها كاملين وبادر بتقديم استقالته إلى مجلس النواب الممثل للأمة السورية . وسجل في هذه الاستقالة احتجاجه على فرنسا التي بعد أن قبلت التعاون مع سوريا عادت إلى أساليبها القديمة ورجعت تطبق تجارب جديدة تناقض الاتفاقات التي وقعها ممثلوها وتعهدوا بتنفيذها . وهكذا جاء عمله هذا دليلا على وطنيته وإخلاصه وشجاعته ، وبندران نجد الكثير من أمثال هاشم بك الأتاسي في تاريخ الأمم الشرقية في القرن العشرين .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية وجاء الجنرال فيجان وغيره من قواد فرنسا ، وسادت البلاد فترة هدوء وتعرضت سوريا ولبنان كما تعرض غيرهما لما مرّ ببقية بلدان الشرق الأوسط من متاعب حتى عقدت الهدنة فازدادت هذه المتاعب الاقتصادية والتموينية ، ثم اشتبكت قوات الحلفاء مع قوات فيشي وانتهى الأمر بدخول الحلفاء وخروج فرنسا المهزومة ودخول ممثـــل فرنسا الحرة أو المقاتلة .

وقد قضى هاشم الأتاسي هذه المدة بأكلها معتكفاً بمدينة حمص لا يقوم بأي نشاط سياسي ولا يزوره أحـد . وأذكر أني مررتُ مراراً بهذه المدينـة ولم أنس أن أترك له بطاقتي في كل مرة ، إذ لم يكن في هذا العمل ما يمكن المؤاخذة عليه ؛ ولكن موظفي إدارة الأمن العام الفرنسية ومن بينهم بالذات من أصبح موضع ثقة الحكم الوطني بعد ذلك ، لم يتركوا هذه الفرصة تفلت من أيديهم دون أن يبنوا عليها من خيالهم الكثير من الظنون التي ضمنوها تقاريرهم السرية ، وهي التي طالما ضللت السلطات وأضعت الكثير من هيبتها في كثير من بلاد الشرق الأوسط .

لابد أن القارىء يعرف ما حدث بعد دخول الحلفاء سوريا ولبنان ، وكيف أعلن استقلال البلاد السورية ، وكيف نودي بالشيخ تاج الدين الحسني رئيســاً للجمهورية ، ثم اعتراف مصر بهذا الاستقلال ، ثم ما أعقب ذلك الاعتراف من اتصالات ومفاوضات كانت ترمي إلى دعم هذا الاستقلال وجعله متمشياً مع الأغراض العالمية الكبرى التي رسمها ميثاق الأطلنطي ونادى بها كل من روزفلت وتشرشل لكسب الحرب . ولو أن الكثير من مذكرات رجال السياسة والحكم قد نشر بمختلف اللغات وأصبح متداولا بين أيدي الجمهور وفيه إشارات معينة إلى ما تم في هذه الحقبة الدقيقة من حياة الأمم العربية والشرقية ، إلا أن موقف مصر الحاسم وأثرها الفعال وما قامت به من أعمال وما كان لوجهة نظرها وسياستها من احترام في المحافل الدولية ، لا تزال حلقة مجهولة غير معروفة للناس ولا للمصريين خاصة . وليس في نيتي أن أسردها في هذه العجالة ، وإنما أكتفي بأن أقول إني وجدت نفسي مجنداً في هذه الناحية وعرضة لأحاديث ومفاوضات مع أصحاب الشأن من السوريين واللبنانيين ومع ممثلي فرنسا وبريطانيا وأمريكا ثم مع السلطات القائمة حينئذ في سوريا وفي مقدمتهم المغفور له الشيخ تاج الدين الحسني وغيره من الوزراء وأهل الرأي .

في تلك الأثنـاء دارت مقابلات بعصر حضرها الجنرال كاترو وزعماء من السوريين واللبنانيين وعند نهايتها عدت إلى بيروت وكان من المفروض أن تبقى المباحثات تحت طي الكتمان ؛ ولكني فوجئت في يوم من الأيام بزيارة نجل هاشم بك الأتاسي الذي نقل إلى رغبة والده في مقابلتي مفضلاً أن يتم ذلك في فندق معين بمدينة بعلبك . وقد تمت بهذه الزيارة فعـلاً في اليوم الذي حدّده الرئيس هاشم بك الأتاسي فجاءت كأنها مقابلة عرضية في أحد صالونات الفنـدق المذكور . وفي أثنائها تحادثنا عما تم في القاهرة من اتفاق على النقط الأساسية التي تمهد الفرنسيون الأحرار بإتمامها والتي تتكفل بعودة هاشم بك الأتاسي رئيساً للجمهورية السورية ليتولى إجراء الانتخابات الجديدة . وقد أبدى هاشم بك الأتاسي لي ارتياحه لهذه الفكرة ولم يعترض عليها وقتئذ .

وبعد يومين تلقيت دعوة من وزير العراق المفوض تحسين بك قدري للغداء بفندق سوفر، وهناك وجدت دولة رياض بك الصلح الذي كان مدعواً مثلي فأخذ دولته أثناء الطعام يتحدث بلباقته المعروفة وذكائه الفائق عن اهتمام الرأي العام الوطني بالمفاوضات التي تولتها مصر وما يُرجى لها من خير وعند نهاية تناول الطعام أبلغني أن الكتلة الوطنية بالشام ترتب الآن شئونها وتجمع شملها كحزب منظم، وأنها قررت ألا ترتبط بشيء لا يأتي عن طريق رئيسها فخامة هاشم الأتاسي وطلب إليّ وإلى وزير العراق المفوض أن يبلغ كل منا حكومته هذا الإجراء الذي يتفق مع مصلحة البلاد القومية والاستقلالية .

ولا أدرى لماذا مرّ بخاطرى فى تلك اللحظة الكثير من الحوادث التى قرأت عنها طويلاً ، إذ عدت بخيالى إلى أعوام ١٩١٠ حينما كانت البلاد العربية جزءاً من الامبراطورية العثمانية فى الأعوام التى تلت قيام خديو مصر برحلته إلى الأقطار الحجازية وما أحيطت به رحلته فى مختلف البلاد الأوربية من تأويلات ثم مجيء كتشنر إلى القاهرة ووضعه حداً لسياسة الوفاق التى رسمها غورست وما تبع ذلك من مقابلات تمت فى دار السيد البريطانى مع بعض زعماء العرب سنة ١٩١٣، ثم برز أمامى النزاع القائم بين وزارة الخارجية البريطانية وحكومة الهند البريطانية فى قيادة السياسة العربية وما تمخضت عنه سنة ١٩١٦ من قيام الملك حسين بن على وحروب لورنس المرونة والمناداة بفيصل الأول ملكاً فى دمشق ؛ ثم تمثلت اتفاقات سيكس — بيكو والتفاهم الذى تم على حصص البترول العراق ومجيء وعد بلفور وإنشاء الوطن القومى الصهيونى ومفاوضات الوسطاء[1] بين فيصل الأول والدكتور وايزمان السيد الصهيونى ، واستجمعت ذكرى الليالى الطويلة التى أمضيتها فى فندق الملك داود بمدينة القدس استمع فيها إلى أحاديث رجال من البريطانيين واليهود وأنصت إلى أنصار الهاشميين وأنصار الحاج أمين الحسينى . لقد أمضيت سنتين بفلسطين تمر أمام ناظرى الحوادث والمقابلات بين مختلف الرجال الذين يضعون الخطط ويجتمعون ثم ينفضون إذ كانت توضع أسس دولة إسرائيل ... على احتمالات الأخطاء التى سوف يرتكبها رجال السياسة من العرب — لقد مر كل هذا أمامى عند تناول الطعام — ولقد نزلت من صوفر إلى بيروت وأنا غير مرتاح لمقابلتى هذه إذ كنت أشعر بأننا على أبواب مفاجآت جديدة ... وفعلا تحقق هذا الشعور الذى قلما أخطىء فيه ؛ إذ أطل علينا شهر مارس سنة ١٩٤٣ وهو الشهر المليء بالحوادث التى جاءت متتابعة متلاحقة ، فبدأ الجنرال كاترو يجد فى تنفيذ ما اتفق عليه بالقاهرة فكثرت تنقلاته بين بيروت وحلب وحمص ، وكان يؤكد فى أحاديثه أنه ينفذ قرارات حكومة فرنسا المقاتلة الممثلة فى اللجنة الفرنسية بالجزائر ، وأن التعليمات التى لديه من شرائطها قيام معاهدة بين فرنسا ودولتى سوريا ولبنان . وكان يبدو لى من حديثى مع أغلب الزعماء الذين قابلتهم أنهم يرحبون بعودة معاهدة سنة ١٩٣٦ بل قال بعضهم إن هذه المعاهدة أوسع نطاقاً من المعاهدتين اللتين عقدتهما بريطانيا مع مصر والعراق ، وأنه لو كانت بريطانيا فى مكان فرنسا لاستفادت سوريا كثيراً من تطبيق هذه المعاهدة . كنت أقابل هذه التصريحات بالصمت المؤذن بأن صاحبه لا يهتم بهذه الناحية — ولا يود الخوض فى موضوعها بالذات .

وما دامت مفاوضات القاهرة لم تتعرض لموضوع المعاهدة لم يكن من المصلحة إثارة شيء عن ذلك ، ما بقى اسم مصر بعيداً عن هذه الدعاية القائمة . والحقيقة أن الفرنسيين أثاروا الموضوع حينما وجدوا شبه إجماع على العودة إلى إحياء المعاهدة السورية الفرنسية ، ولم يبدأ الزعماء فى التحرر من أقوالهم إلا عندما ظهرت فى الأفق اتجاهات سياسية معينة ؛ ولكن الذى أعلمه تماماً أن هاشم بك الأتاسى كان أول من هاجم المعاهدة أمام الجنرال كاترو . وقد أبلغنى الجنرال أن هاشم بك لم يستطع شرح وجهة نظره وتقديم أدلة كافية على اقتناعه شخصياً بهذه الفكرة ... ونظر إلى مبتسماً .

وقد كنت على حق فى أن موضوع المعاهدة سوف يتخذ دعاية ضد مصر ، مع أن المراجع المصرية لم تتعرض بتاتاً لمسألة عقد معاهدة جديدة بين سوريا وفرنسا أو إعادة المعاهدة السابقة . ولذلك دهشت حين سمعت شكرى بك القوتلى يصرح فى منزله « أن مفاوضات القاهرة لم تعد أساساً يصلح للسير عليه » فهل كان يقصد بذلك عودة هاشم الأتاسى للرئاسة أم موضوع المعاهدة ؟ لم يترك لى الحاضرون الوقت الكافى لقراءة ما يجول بخاطره ، فقد تدخل بسرعة سعد الله الجابرى ، فاعتذر شكرى بك بأنه لم يطلع الاطلاع الكافى على تفاصيل هذه المفاوضات وأسرارها .

ولما توجهت بنظرى نحو جميل مردم بك قال إنه سيتولى تفصيلها وشرحها لشكرى بك . أما أنا فانتهزت الفرصة وأكدت أمام الحاضرين أن موضوع المعاهدة لم يكن محل بحث فى القاهرة . ولست مكلفاً بالدخول فى أى شأن يخص العلاقات بين سوريا وفرنسا من هذه الناحية . وقد استشهدت بجميل بك فأقرنى على ذلك

ولما عدت إلى بيروت علمت من المصادر المختصة أن الانجليز المحليين لا يوافقهم إبرام أى معاهدة بين الفرنسيين وسوريا ولبنان ، وأن رأيهم فيما يخص معاهدة ١٩٣٦ هو أنها تؤيد سيطرة فرنسا

(١) هؤلاء الوسطاء أسماؤهم معروفة مشهورة .

مسئولية الاحتلال الانجليزي لمصر

للأستاذ كمال السيد درويش

— ١ —

في مثل هذا الشهر من عام سنة ١٨٨٢ تمّ الاحتلال الانجليزي لمصر. ذلك الاحتلال الذي لم تستغرق حوادثه — منذ ضرب الاسكندرية في الحادي عشر من شهر يوليه الى استسلام عرابي بالقاهرة في الرابع عشر من شهر سبتمبر — سوى شهرين اثنين. ولموقعة التل الكبير أهميتها الخاصة بعد تحصينات كفر الدوار في حوادث ذلك الاحتلال مع أنها لم تدم سوى عشرين دقيقة فرّ بعدها عرابي إلى القاهرة ليستسلم في اليوم التالي.

ولقد دعت السهولة التي تمّ بها الاحتلال الانجليزي لمصر إلى الاختلاف حول تحديد المسئولية في ذلك الاحتلال. أتقع المسئولية على عاتق عرابي أم على عاتق الدولة العثمانية أم على الإنجليز وجشعهم الاستعماري؟

وهكذا تأرجحت آراء الكتاب حول هذا الموضوع بين هذا الرأي أو ذاك.

عرابي هو المسئول الأول والأخير. لقد اعتنق بعض الكتاب هذا الرأي وأيدوه بحجج قوية.

ألم يدفع بسلوكه الخديو إلى الارتماء في أحضان الإنجليز؟ ألم يهمل الدفاع عن حدود مصر الشرقية؟ أما كان من الحكمة أن يلجأ إلى سدّ القناة فيؤخر الزحف الإنجليزي على الأقل إن لم يمنعه؟ يقول له دلسبس في تلغرافه: « إن الإنجليز يستحيل أن يدخلوا القناة «يستحيل» فينخدع بهذا التلغراف وبالتلغراف الذي يليه: « لا تعمل عملاً ما لسد قناتي، فإني هنا ولا تخش شيئاً من هذه الناحية، إذ لا ينزل جندي إنجليزي واحد إلا ويصحبه جندي فرنسي، وأنا المسئول عن كل ذلك ».

أي قائد هذا الذي يصدق مثل هذا التصريح الأجوف فيركن إليه في تحصين بلاده؟ ألم يقل فيه صديقه جون نينيه « إن بساطة

في البلدين، أما السفير الأمريكي فاكتفى بأن قرأ على مجموعة من برقيات واشنجتون وكلها تشرح وجهة النظر الأمريكية التي تتمسك بخصوص نظام ميثاق الأطلنطي وأنه يجب كل ماعداه. ولا لزوم لعقد مثل هذه المعاهدات: ومن هنا فهمت سر التطور الجديد ضد فرنسا.

كثرت مقابلاتي في شهر مارس سنة ١٩٤٣ مع الجنرال كاترو وتناولت أحاديثي معه عدة مسائل كان بعضها خاصاً بمركز القوات الفرنسية ومعسكراتها في مصر. وفي إحدى هذه المقابلات أشار إلى المتاعب التي يلقاها لجمع شمل رجال السياسة السوريين وقال إنه دائم الاتصال بهم ويحاول جهده التغلب على المصاعب التي تبرز كل يوم أمامه. وكان مما ذكره أن عودة الدستور والحياة النيابية إلى سوريا ولبنان أمر مفروغ منه، وهذا تنفيذ لما تم الاتفاق عليه بالقاهرة، ذلك الاتفاق الذي اعتبره الجنرال خاصاً به، ولما فقد بذل الجهود حتى أقنع الجنرال ديجول ولجنة الفرنسيين الأحرار، حتى وافقوا على تنفيذه، وأن المشروع الذي أوحت به مصر يعد في نظره الحل الوحيد المطابق لروح المبادىء الدستورية، ولذا فهو الذي يسعى أن ينفذه في كل من سوريا ولبنان على السواء. وعند اقتراب انصرافي أسر إلى بأن مركز فرنسا ودية في بعد وقالك فإنه سيحتفظ بالمصالح المشتركة لحين التفاهم على معاهدة التحالف بين البلدين. ولم أعلق على هذا التصريح بشيء علماً مني بأن الظروف قد بدأت تسير في اتجاه آخر مضاد لفكرته، وإن أساليب السياسة البريطانية قد بدأت تؤتي أكلها في كل من سوريا ولبنان وتوجيه القادة إلى وجهة نظرها.

وفي ١٣ مارس سنة ١٩٤٣ علمت من عدة مصادر أن الجنرال كاترو لم يعد يتعرض بتاتاً لمعاهدة ١٩٣٦ في أحاديثه مع الساسة السوريين، وظهر أن هذا كان نتيجة إبداء البريطانيين امتعاضهم. ولكني علمت بأن شكري بك القوتلي مصرّ على رفض رئاسة الوزارة إذا عرضها عليه هاشم بك الأتاسي. ولما أشير إلى خالد بك العظم أجمع الساسة على أن صحته سوف لا تمكنه من مواجهة الحالة القادمة وما تتطلبه من كفاح ومجالدة أمام مجلس النواب. وهنا بدأت المفاجأة الثانية.

(يتبع)

أحمد رمزي

عرابي جملته يرتكب أغلاطـاً كبيرة ظهرت عواقبها بعد ، بمقدار ما بذل من الهمة في الدفاع عن الإسكندرية وتحصين خطوط الدفاع في كفر الدوار بحيث امتنعت على الإنجليز ، قد أظهر منذ ابتداء القتال غفلة بالغة إذا استمع إلى النصائح الكاذبة التي خدعه بهـا المسيو فردناند دلسبس حين زعم أن الإنجليز لايمكن أن يتعرضوا للعمل الفرنسي ، فامتنع عرابي عن سد القناة في الوقت المناسب واستمسك برأيه رغم ما كانت تحتمه الخطط الفنية الحربية ، ورغم ما ارتآه زملاؤه وما ارتأيته أنا وكررته عشر مرات تارة بالقول القارس وطوراً بالكتابة في وجوب سد القناة؛ رغم كل ذلك أصر عرابي على رأيه فمهد للجنرال ولسلي نصراً من أسهل ما عرف في تاريخ المعارك »[1]. ويحذره جون نينيه قائلا: « إن قناة السويس هي خط الدفاع الوحيد الذي لكم في هذه الناحية ، وإذا لم تحتلوه فسيحتله العدو غداً ولن يجد صعوبة في احتلاله »[2] ومع ذلك كله يأبى عرابي إلا أن يصم أذنيه ويقف مكتوف اليدين حتى تساءل كاتب تاريخ الحركة القومية بقوله : « فليت شعري ما الذي جعله يعدل عن هذا الرأي الصواب ويمتنع عن سدها حتى احتلها الإنجليز ؟ »[3] وموقعة التل الكبير !! كيف يخوض تلك الموقعة الفاصلة وهو بعد لم يستكمل وسائل الدفاع ؟ لقد أقيمت خطوط الدفاع على عجل ، ولم تكن هي في ذاتها محكمة الوضع . يقول المستر بلنت في التاريخ السري للاحتلال : إن جيش عرابي بالتل الكبير لم يكن يزيد على عشرة آلاف أو اثني عشر ألف جندي ، والباقون كانوا من الجنديين الأحداث الذين لم يسبق لهم إطلاق بندقية واحدة . أضف إلى ذلك أن خيرة الجنود لم يكونوا بالتل الكبير بل كانوا في كفر الدوار أو في دمياط ، وهؤلاء لم يشتركوا قطعاً في المعركة ، وكان من حسن التدبير أن يستدعي عرابي على الأقل الألاي المرابط في دمياط لأنه كان يحتوي على خيرة الجند المدربين ، ولكنه لم يفعل . بل لقد عهد عرابي بالقيادة إلى علي باشا الروبي فحضر قبل الواقعة بيوم واحد وهو وقت لا يكفي لتعرف مواقع القتال ووضع الخطط الصالحة .

وكيف لا يشتم رائحة الخيانة في صفوف أعوانه !! أترسم خطة الموقعة ليلا فلا تستقر في نفس الليلة إلا عند الأعداء !! ويتحرك الجيش الانجليزي إلى أن يصل إلى ميدان الموقعة مسافة تبلغ نحو خمسة عشر كيلومتراً دون أن تصادفه طلائع المصريين؟ أيوقع الإنجليز بالجند » على حين كان راقداً فدهشت العساكر وتولاها الانذهال حيث رأوا ضرب النار من خلفهم وأمامهم ، فألقوا أسلحتهم وفروا طالبين النجاة » على حد قول عرابي نفسه في روايته عن تلك المعركة .

وأخيراً كيف يرتضي عرابي لنفسه أن يرخي لفرسه العنان ثم يستسلم بعد فراره هذا الاستسلام الذليل ؟ لقد قال الرافعي بك في هذا الموقف الذي ختم به عرابي فصول الثورة : « ولكن عرابي آثر الحياة على الواجب المقدس ففقد روح البطولة والتضحية ، ولم يكن هذا عهده للأمة قبل نشوب الحرب ، فقد كان يقول إنه لا يخشى تهديد إنجلترا ولا أوربا ولا تركيا وإنه مصر على أن يدافع عن مصر حتى آخر رمق من حياته . فليت شعري لم لم يف بعهده فيكون دفاعه على الأقل صفحة بطولة في تاريخه وفي تاريخ مصر ، أما إذا كان معتزماً التسليم لمجرد الهزيمة فكان الأولى به أن لا يغامر بالبلاد في حرب أدت إلى الاحتلال والهوان ، فهزيمة التل الكبير لم تكن هزيمة عرابي وحده أو هزيمة لجيشه بل هي هزيمة لمصر بأسرها إذ كانت نتيجتها الاحتلال البريطاني »[1] بل لقد ذهب الكاتب إلى أبعد من ذلك في تفسير فرار عرابي فقال إنه لم يفر من الموقعة ليواصل الجهاد ولكن لكي ينجو بنفسه ؟ ولو كان مجاهداً حقاً لظل يجاهد حتى آخر نسمة من حياته .

أفلا يرى القارئ العزيز إلى أي حد يذهب بعض الكتاب في إلقاء مسئولية ذلك الاحتلال المشئوم على عاتق عرابي والعرابيين؟ إن الاتهام تلو الاتهام ينصب في غير رحمة أو هوادة على العرابيين وعلى رأس عرابي بالذات .

ولكن مهلاً أيها القارئ العزيز فسنستعرض بقية الآراء حتى نعثر على الحقيقة . في ثنايا ذلك الاستعراض تتكون الحقيقة

(١) الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي . عبد الرحمن الرافعي ص ٤٣٢ نقلاً عن جون نينيه — عرابي باشا ، ص ١٠٥

(٢) عبد الرحمن الرافعي بك . الثورة العرابية ص ٤٣٣ : نقلاً عن جون نينيه عرابي باشا ص ١٠٥

(٣) عبد الرحمن الرافعي بك . الثورة العرابية ص ٤٣٣

(١) عبد الرحمن الرافعي بك . الثورة العرابية . ص ٤٥٦ ، ٤٥٧

والحقيقة وحدها سبيلنا إلى تحديد المسئولية والمسئولين وحتى نستطيع استخلاص العبرة من تاريخ ذلك الاحتلال .

— ٢ —

لا ، ليس عرابى هو المسئول . ولكن المسئول الأول والأخير هو الدولة العثمانية . تلك الدولة التى دب الضعف والانحلال فى جميع أرجائها فاستحقت بذلك لقبها المشهور « الرجل المريض »

ألم تقف الدولة العثمانية عقبة كؤودا فى سبيل نهوض مصر؟ ألم تعمل السياسة العثمانية على إبقاء مصر ضعيفة ظناً منها أن هذا الضعف هو الوسيلة الوحيدة لبقاء مصر داخل نطاقها ؟ ! ثم هذا الموقف المضحك المزرى الذى وقفته إزاء الثورة العرابية ! كيف ترضى لنفسها الاشتراك فى تمثيلية مؤتمر الآستانة ؟ ! وبأى حق تسمح للدول الأوربية أن تقحم أنوفها فيما لا يعنيها ؟!

وكيف تنخدع هى الأخرى بهذا المؤتمر وبسراب الخطب التى ألقيت فيه ؟ يضع مندوبو الدول فى هذا المؤتمر ما أسموه : « ميثاق النزاهة » وفيه تتعهد الحكومات التى يوقع مندوبوها على هذا القرار بأنها فى كل اتفاق يحصل بشأن المسألة المصرية لا تبحث عن احتلال أى جزء من أراضى مصر ولا الحصول على امتياز خاص بها ولا على نيل امتياز تجارى . . الخ »

أحقا هذا ؟! أحقا ينخدع الباب العالى ويؤمن بنزاهة الميثاق وتنجح السياسة الإنجليزية فى اتخاذه غلب للقط أثناء الاحتلال . خطب اللورد دفرين سفير إنجلترا وممثلها فى المؤتمر فعرض لتفاصيل الحالة فى مصر قائلاً : « إن وزارة راغب باشا هى أداة فى أيدى الثائرين ، وأن الخديو لا حول له ولا قوة . ثم أهاب بالدول أن تأخذ الثورة المصرية — على حد قوله — بالشدة حتى لا يستفحل نفوذها فلا يعود من السهل استئصال شأفتها . وقال إن الوسائل الفعالة التى يجب اتخاذها لإعادة حكومة منتظمة إلى مصر يجب أن تصدر عن الحضرة السلطانية .

وهكذا نجحت إنجلترا فى إقرار مبدأ التدخل فى شئون مصر الداخلية . بل إن جمود الدولة العثمانية كان سبباً فى تمكين الإنجليز من التدخل بمفردهم بعد أن خلقوا « الحالة القهرية » التى استدعت فى زعمهم ضرب الإسكندرية .

ألم تكن مهزلة الهازل أن يتم ضرب الاسكندرية واحتلالها ومؤتمر الآستانة مع ذلك موجود ولا يستحى المندوبون فيه من مواصلة عقد الجلسات بعد أن تم ذلك العدوان ؟

ألا تكون الدولة العثمانية مسئولة عن هذا الاحتلال وهى التى مكنت — سواء بضعفها أو غفلتها أو جمودها — من التدخل الإنجليزى باسمها وباسم الخديو ؟ !

كيف ترضى الوقوف فى جانب الإنجليز — وهى تعلم سياستهم ونياتهم فتؤيدهم بنفوذها الروحى والسياسى وتجاريها فى ذلك الخديو فيطعن الحركة العرابية فى الصميم بإيقاع الانقسام بين رجالها وبالتالى فى القضاء عليها ؟ كيف ترضى الدولة لنفسها هذا الموقف العجيب فتؤيد دهاقنة الإنجليز ضد عرابى — عرابى الذى كانت تعلم حق العلم حقيقة نواياه وأطماعه . أليس من العجيب أن يكون عرابى من الخطورة على الدولة العثمانية وعلى الخديو بحيث يضطرها إلى الاستعانة بإنجلترا فى القضاء عليه ؟ أما كانت الدولة العثمانية بتصرفها هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار ؟ والله يعلم أن حركة عرابى والعرابيين كانت على الدولة وعلى مصر أبعد شىء عن الرمضاء ، وأن الانجليز كانوا على البلاد وعلى الدولة أشد خطراً من النار .

ألم يكن موقف الخديو من الحركة العرابية معولاً قوياً من معاول هدمها ؟ كتب الخديو إلى الأميرال سيمور بعد ضرب الاسكندرية يقول على لسان رئيس وزرائه : « كونوا إذن على علم بأن الجناب الخديو عزم على عزل عرابى من وظيفته ، فهو الملك وحده المسئول عما يحدث » وبرسل الخديو تلغرافاً إلى عرابى بكفر الدوار يأمره بالكف عن الاستعدادات الحربية ويؤيد بذلك وجهة النظر الإنجليزية فى ضرب الاسكندرية « اعلموا أن ما حصل من ضرب المدافع من الدونمة الانجليزية على طوابى الاسكندرية إنما كان السبب فيه استمرار الأعمال التى كانت جارية بالطوابى وتركيب المدافع التى كلما يصير الاستفهام عنها كان يصير إخفاؤها وإنكارها » ثم يعزله فى النهاية « لقد عزلناكم من نظارة الجهادية والبحرية ، وأصدرنا أمرنا هذا لكم بما ذكر ليكون معلوماً » ويكتب الخديو بعد ذلك منشوراً إلى الأمة يحذرها فيه من الانضمام إلى عرابى وإلى مناصرة الجيش الإنجليزى والامتناع عن معاونة العرابيين .

حكمة المعتزلة :

علم الله في مذهب المعتزلة

للدكتور ألبير نصري نادر

إن نفي المعتزلة لصفات الله لم يمنعها من البحث في بعض الصفات كصفة العلم والقدرة والإرادة والعدل على زعم أنها اعتبارات ذهنية وملائمة لنا حسب قول أبي الهذيل العلاف الذي يقول : إذا تحدثنا عن علم الله أو عن قدرته مثلا فذلك لأننا ننظر إليه تعالى من أوجه مختلفة في حين أنه تعالى ذات واحدة وأزلية[1] ونحن مخلوقات مركبة وحادثة ؛ لذلك نلجأ إلى هذه الاعتبارات وخصوصاً إننا عاجزون عن إدراك اللامتناهي .

ويزيد إبراهيم النظام قائلاً : معنى قولي إن الله عالم إثبات ذاته ونفي الجهل عنه . ومعنى قولي قادر إثبات ذاته ونفي العجز عنه . ومعنى قولي حي إثبات ذاته ونفي الموت عنه . وكذلك الأمر في سائر صفات الذات[2] . فهكذا لا توجد سوى ذات واحدة أزلية ننظر نحن إليها نظرة تجزئية في حين أن هذه الأجزاء أعني الصفات غير موجودة البتة فيها ؛ فقط طبيعة عقلنا الناقصة العاجزة تلجئنا إليها . وأول هذه الصفات التي يبحثها المعتزلة هي صفة العلم .

(1) مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٤٨٦ — كتاب الانتصار للخياط ص ٧٥

(2) مقالات الإسلاميين للأشعري ص ١٦٦ و ص ٤٨٦ .

علم الله هو الله :

لما نفى واصل بن عطاء كل صفة عن الله تعالى رد جميع الصفات إلى ذات واحدة . وزاد أبو الهذيل توكيداً في رد هذه الصفات إلى الذات قائلا : إن علم الله هو (أي الله) وإن الله يعلم نفسه وإن نفسه ليست بذي غاية ولا نهاية[1] فإذاً علم الله لا متناهي كما أن الذات لا متناهية . ويضيف أبو الهذيل قائلا إن الله يعلم حقيقة ، ليس بعلم أزلي (قديم) مميز عن ذاته كقول الثابتة ، وليس بعلم مكتسب محدث كقول الرافضة ، بل إنه عالم بذاته[2] . حتى إن أبا الهذيل والنظام كانا يقولان : معنى قولنا عالم هو إثبات ذاته ونفي الجهل عنه . فالذات هي العلم والعلم هو الذات لا يمكن فصلهما وكذلك الحال في الصفات الأخرى .

ويذهب معمر[3] وهو من أعظم المعتزلة مرتبة في تدقيق

(1) الانتصار للخياط ص ٨ ؛ ٧٥ ؛ ٨٠١ ؛ ١٢٢ — مقالات الإسلاميين للأشعري ص ١٦٥ ؛ ٤٨٤ .

(2) الشهرستاني : الملل والنحل على هامش ابن حزم جـ ١ ص ٥٧ .

(3) معمر بن عباد السلمي من موالي بني سالم توفي سنة ٢٢٦ كان معاصراً لأبي الهذيل والنظام . أخذ الاعتزال عن عثمان الطويل صاحب واصل ابن عطاء رأس المعتزلة . ومعمر أستاذ بشر بن المعتمر رأس معتزلة بغداد .

وهكذا نجح الإنجليز في صبغ تدخلهم بالصبغة الشرعية تلك الصبغة التي أخذت تزداد كلما توالت المنشورات وهي لا تفتأ تردد عصيان عرابي وتتوعده هو ومن ينحاز إليه بالعقاب . وحين فتح الإنجليز الجبهة الشرقية كان الخديو في الوقت الذي يتوعد فيه عرابي يرسل كتب التهنئة إلى أركان حرب الجيش الإنجليزي بما يحرزون من انتصارات ! وهكذا مكن موقف الدولة العثمانية وموقف الخديو قائد الجيش الإنجليزي من أن يعلن المصريين بأن جيشهم إنما هو تجريدة عسكرية إلى القطر المصري ليست إلا لتأييد سلطة الحضرة الخديوية ؛ وأن قائد الجيوش يُسرُّ جداً من زيارة مشايخ البلاد وغيرهم من الذين يودون المساعدة لردع العصيان الذي هو ضد الحضرة الخديوية الحاكم والوالي الشرعي على القطر المصري المعين من لدن الذات الشاهانية .

وقد كان محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب نائباً عن الخديو في مرافقة الجنرال ولسلي في زحفه على العاصمة ، بل لقد كان الخديو قد أعطى للإنجليز ترخيصاً باحتلال القناة .

وجاءت الدولة العثمانية فأعلنت عصيان عرابي والحرب قائمة ونشر ذلك الإعلان في جريدة (الجوائب) التي كانت تصدر باللغة العربية بالآستانة ، وقام سلطان باشا بتوزيع نسخ تلك الجريدة بين الأهالي والأعيان بل وبين كبار الضباط .

حقاً لقد كانت الدولة العثمانية بتصرفاتها طابوراً خامساً طعن الحركة العرابية طعنة نجلاء ومهد لرسوخ قدم الاحتلال .

ولكن مهلاً أيها القارئ العزيز حتى نستعرض الرأي الثالث والأخير .

(البقية في العدد القادم)

كمال السيد درويش

القول بنفي الصفات إلى القول بأن الله تعالى عالم بأن يعلم نفسه لأن من شرط المعلوم عنده أن يكون غير العالم به ، وهكذا يكون العالم متميزاً عن المعلوم . ولكن معمر رد هذا التمييز بينهما خوفاً من أن يؤدى بنا إلى الاعتقاد بأن علم الله متميز حقيقة عن ذاته فرفض القول بأن الله يعلم نفسه وقال بأن العالم والمعلوم واحد أى أن علم الله هو ذاته (أى ذات الله) وعلى ذلك لا يكون العلم منفصلا فى الله ولكنه داخلا فيه قديم وغير متميز عن ذاته[1] .

لذلك قال جمهور المعتزلة : إطلاق العلم لله عز وجل إنما هو مجاز لا حقيقة ، وإنما معناه أنه تعالى لا يجهل[2] فتكون المعادلة خالصة كاملة تامة بين ماهية الله وعلمه ، كما أن هذه المعادلة كاملة أيضاً بين الماهية وأى صفة من الصفات الأخرى والتى هى فى نظر المعتزلة اعتبارات ذهنية ليس إلا —

مصدر هذه الفكرة :

يقول أرسطو فى مقالته الثانية عشرة من كتاب ما بعد الطبيعة أن الله علم كله ؛ قدرة كله ؛ حياة كله ؛ سمع كله ؛ بصر كله . وقرأ أبو الهذيل والنظام فى بغداد ترجمة مؤلفات أرسطو وأفلاطون فيكون أبو الهذيل قد أخذ هذا القول من أرسطو على حسب ما جاء فى مقالات الإسلاميين للأشعرى[3] وحسن أبو الهذيل اللفظ من عند نفسه وقال : علمه هو هو ، وقدرته هى هو — ويؤكد الشهرستانى ذلك بقوله إن أبا الهذيل اقتبس هذا الرأى من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه ، وإنما الصفات ليست وراء الذات معانى قائمة بذاته بل هى ذاته[4] . والمعروف أن هذا هو قول أرسطو .

وهناك سبب آخر جعل أبا الهذيل أولا ثم المعتزلة ثانياً يردون الصفات إلى الذات . يقول أبو الهذيل : هناك فرق بين قول القائل إن الله عالم بذاته لا بعلم ، وبين قول القائل إن الله عالم بعلم هو ذاته ، وهو أن القول الأول نفى الصفة والثانى إثبات ذات هو بعينه صفة أو إثبات صفة هى بعينها ذات ؛ وإنما أثبت أبو الهذيل هذه الصفات

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٤١ — الشهرستانى : الملل على هامش ابن حزم جـ ١ ص ٧٥ .
(٢) ابن حزم : الفصل جـ ٢ ص ٩٩ .
(٣) مقالات الاسلاميين للاشعرى ص ٤٨٥ .
(٤) الشهرستانى : الملل جـ ١ ص ٥٧ . الأسفرائينى : التبصير فى الدين ص ٤٢ .

(العلم والقدرة والحياة والعدل) وجوهاً للذات فهى بعينها أقانيم النصارى — لذلك نفى القول الثانى القائل بأن الله عالم بعلم هو ذاته حتى يرد الأقانيم عند النصارى .

قدم علم الله :

لما كان علم الله هو الله ، ولما كانت ذاته تعالى تتصف بالقدم ، فإنما علمه قديم أيضاً . وهذه نقطة فى غاية الأهمية عند المعتزلة . ولا ينفك أبو الهذيل والنظام يرددان القول بقدم العلم[1] . ويقول هشام الفوطى[2] إن الله لم يزل عالماً لنفسه لا بعلم سواء قديم ولا بعلم محدث وإن الله لم يزل عالماً بأنه سيخلق الدنيا ثم يفنيها ثم يعيد أهلها (فريق فى الجنة وفريق فى السعير)[3] .

تضيف المعتزلة على قولها إن الله لم يزل عالماً بنفسه قولها بأنه تعالى عالم لذاته أزلا بما سيكون (والمستقبل لا يوجد إلا بالنسبة لنا وليس له وجود عند الله) . وهناك فارق كبير بين علم الله وعلم الإنسان : فعلمنا بما سيكون هو علم بشىء جائز ، على عكس علمنا بما يكون فإنه علم بشىء متحقق واقعى . ولكن علم الله هو علم بشىء حقيق لا بشىء جائز ، لأن الجائز يمكن أن لا يتحقق وعلم الله لا يتعلق به[4] .

اعتراض على هذا القول : اعتراض هشام بن الحكم :

بما أن الله لم يزل عالماً بالأشياء حتى قبل وجودها ولم يزل قادراً عليها فهل ما يعلمه الله وما يقدر عليه قديم أيضاً ؟ هذا سؤال وجهه هشام بن الحكم (الرافضى) إلى المعتزلة قائلا لهم : إن كان الله عالماً بدقائق الأمور وجلائلها لنفسه فهو لم يزل يعلم أن الجسم متحرك لنفسه لأنه الآن عالم لذلك وما علمه الآن فهو لم يزل عالماً به . فإن كان هذا هكذا لم يزل الجسم متحركا لأنه لا يجوز أن يكون الله لم يزل عالماً بأن الجسم متحرك إلا وفى الوجود جسم متحرك على ما وقع به العلم[5] .

(١) الخياط : الانتصار ص ٨ و ٢٥ و ١٠٨ و ١٢٣ — الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ١٦٠ و ٤٨٤ .
(٢) هو هشام بن عمر الشيبانى الفوطى المتوفى سنة ٢١٨ هـ أصله من البصرة دعاه المأمون للمجلسه فى بغداد وكان هشام من أشد المعتزلة تعصبا
(٣) الخياط : الانتصار ص ٦٠ .
(٤) الشهرستانى : نهاية الأقدام ص ٢٢٠ .
(٥) الخياط : الانتصار ص ١٠٨ .

من كتاب قصور العرب :

غُمْدان

للأستاذ كاظم المظفر

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

وقد وصف الشعراء غُمدانا وصفاً يكاد القارىء أن يتوهم لأول وهلة أنه بعيد عن الحقيقة ، أو هو من نسج أخيلة الشعراء ؛ ولكن عند التأمل والإمعان لا يرى فيه غرابة ، ولاسيما وإن كثيراً من المؤرخين الباحثين (المستشرقين) الذين أخذوا على عاتقهم إحياء آثار العرب القديمة ، شاهدوا بعض أنقاض تلك القصور العظيمة ، وتحدثوا عن عظمة الأسلاف ، وما كانوا عليه من قديم العصور من رقي وتقدم في مضمار الحضارة .

وفي غمدان وملوك اليمن يقول دعبل بن علي الخزاعي :(١)

منازل الحي من غمدان فالنضد ... فأرب فظفار الملك فالجَنَد

أرى التبابع والأقيال من يمن ... أهل الجياد وأهل البيض والزَّرَد

ما دخلوا قرية إلا وقد كتبوا ... بها كتاباً فلم يُدرس ولم يبد

بالقيروان وباب الصين قد زبروا ... وباب مرو وباب الهند والصُّغد

وقال أبو الصلت يمدح ذا يزن :(١)

أرسلتَ أسداً على سُود الكلاب فقد ... أضحى شريدُهم في الأرض فُلّالا

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... في رأس غمدان داراً منك محلالا

قصر بناه أبوك القيل ذو شرح ... فهل يُرى أحد نال الذي نالا

منطق بالرخام المستـــزاد له ... ترى على كل ركن منه تمثالا

تلك المكارم لا قَعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

وأنشد لصابة الجرجرائي :(٢)

الدار داران إيوان وغُمدان ... والملك ملكان ساسان وقحطان

(١) معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٠٢

(١) معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٠٢ ، ويروى المسعودي في مروجه جـ ١ ص ٢٨٤ أن هذه الأبيات لأبي زمعة جد أمية بن أبي الصلت الثقفي وفي الكامل جـ ٨ ص ١٧ أنها تنسب لأمية بن أبي الصلت ، ويقال إنها مصنوعة ، وأنه لم يقل منها إلا ثلاثة أبيات أو أربعة .

(٢) كتاب البلدان للهمداني طبعة ليدن ص ٣٩٥

رد المعتزلة :

يبدو هذا الاعتراض وجيهاً في أول وهلة . ولكن المعتزلة وجدت فيه نقصاً وضعفاً كبيرين — يوجد أولا نقص منطقي في الاعتراض نفسه لأن الله في مذهب هشام بن الحكم جاهل بالأمور غير عالم بها وهو يعلمها عند وقوعها . وهذا تشبيه شنيع لله بخلقه يناقض كماله تعالى .

ثم هناك ضعف آخر في الاعتراض وهو إن كان الله لم يزل عالماً بالأشياء قادراً عليها فهذا لا يعني أن الأشياء المعلومة والمقدور عليها لم تزل موجودة منذ القدم — لأن الفاعل لابد من أن يكون قبل فعله عالماً بكيف يفعله وإلا لم يجز وقوع الفعل منه ، كما أنه إذا لم يكن قادراً على فعله قبل أن يفعله لم يجز وقوع الفعل منه أبداً . ألا ترى أن من لم يحسن السباحة أو الكتابة لم يجز منه وقوعهما ؛ فإذا تعلمهما وعلم كيف يكتب أو يسبح جاز وقوع الكتابة أو السباحة منه . وهذا حكم كل فاعل : لابد من أن يكون قبل فعله عالماً به وإلا لم يجز وقوعه منه(١) — وبناء على ذلك تقول المعتزلة إن الله كان ولا شيء معه ، وأنه لم يزل يعلم أنه سيخلق الأجسام وأنها ستتحرك بعد خلقه أياها وتسكن . وأنه لم يزل يعلم أنها متحركة إذا حلتها الحركة وأنها ساكنة إذا حلها السكون ؛ وهو لنفسه لم يزل يعلم أن الجسم قبل حلول الحركة فيه يتحرك ، وأنه في حال حلول الحركة فيه متحرك — فلا ماض ولا مستقبل في علمه تعالى لأن علمه هو ذاته وعلمه سابق للمعلومات . فتكون هكذا الأشياء أزلية في علم الله ، محدثة في الزمان المعين والحدث لها من الله . وحدوثها في الزمان لا يضيف ولا يبدل شيئاً في علم الله لأن هذا العلم سابق لها .

تبقى مسألة جواز وجود ما يعلم الله أنه لم يوجد ، ومسألة حرية الإنسان في فعل المعاصي مع معرفة الله الأزلية لما يفعله الإنسان . وهذه المسألة الأخيرة في غاية الدقة لأن المعتزلة تفخر بأنها ليست « أهل توحيد » فحسب بل أيضاً « أهل عدل » — وسنبحث إن شاء الله في مقالنا القادم هذه المسألة الخطيرة .

(البقية في العدد القادم)

ألبير نصري نادر
دكتور في الآداب والفلسفة

(١) الخياط : الانتصار ص ١٠٩ .

وقال علقمة بن ذي يزن :(١)

أبعد غمدان حين أسقى يسـق به الورد والرياح
يا ميت سلحين فاندبيه إذ هاض من أهله الجناح

وقال أيضاً :(٢)

لا تهلكن جزعاً في إثر من ماتا فإنه لا يرد الدهر ما فاتا
أبعد غمدان لا عين ولا أثر أم بعد بينون يبقى الناس أبياتا

وقال أيضاً :(٣)

فذاك غمدان معزلاً(٤) كأنه جبل منيف
يسكنه ماجد أبي ترغم قدامه الأنوف

وقال أيضاً :(٥)

هذاك غمدان معزلاً بناؤه العجب العجيب
أعلاه مبهمة رخام(٦) عال وأسفله جروب(٧)

وقال أيضاً :(٨)

وتكورت غمدان من صرف الردى من بعد ملكة وبعد تكبر
القيل من قحطان أبهم صخرها وعمادها والقطر خير الأقطر

وقال أيضاً :(٩)

قد كان حسان في ذؤابة غمدان قرراً يعيش من رغدا

وقال أيضاً :(١٠)

ولم يخلد على الحدثان بارئ بني غمدان تهمسه الهموم

وقال ابن أبي عامية الشلل :(١١)

فهل ناظر من بطن غمدان مبصر فقا أحدرت للدى التراخيا
ولو أن داء اليأس بي فأعانني طبيب بأرواح العقيق شفانيا

(١) الاكليل جـ ٨ ص ٦٠
(٢) الاكليل جـ ٨ ص ٦٨
(٣) نفس المصدر ص ٦٩
(٤) من أعزال الجبل : ارتفع فوق السراب .
(٥) الاكليل جـ ٨ ص ٦٩
(٦) المبهم : المغلق من الأبواب وذلك أننا رأينا فيما مضى أن باقي غمدان الطبق سقف الغرف برخامة واحدة فكأنها أغلقت بهذه الرخامة .
(٧) جمع جربة على غير قياس وهي المزرعة والقراح من الأرض أو المصلحة لزرع أو غرس .
(٨) الاكليل جـ ٨ صـ ٢٠
(٩) الاكليل جـ ٨ صـ ٢١
(١٠) كذلك صـ ٢٢
(١١) ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي صـ ١٢٦

وقد ذكر الهمداني في بعض مخاطباته لأهل العراق ، وقد كانوا وصفوا بغداد في مخاطبتهم له ، حيث يقول :(١)

أرض تخيرها سام وأوطنها وأس غمدان فيها بعدما احتفرا

وقال الهمداني أيضاً :(٢)

مازال سام يرود الأرض مطلباً للطيب غير بقاع الأرض يبتنيها
حتى تبوأ غمدانا وشيدها عشرين سقفاً يناغي النجم عاليها
فإن تكن جنة الفردوس عالية فوق السماء فغمدان يحاذيها

وقال ذوجدن الهمداني :(٣)

وهذا المال ينفد كل يوم لنزل الضيف أوصلة الحقوق
وغمدان الذي حدثت عنه بناه مشيداً في رأس نيق
بمرمرة وأعلاه رخام تحام لا يغيب بالشقوق
مصابيح السليط يلحن فيه إذا يمسي كتوماض البروق
فأضحى بعد جدته رماداً وغير حسنه لهب الحريق

وقد يقال من غمدان بمأرب وفيه يقول الهمداني :(٤)

من بعد غمدان المنيف وأهله وهو الشفاء لقلب من يتفكر
يسمو إلى كبد السماء مصعداً عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامة ومن الرخام منطق ومؤزر
متلاحماً بالقطر منه صخرة والجزع بين مروحه والمرمر
وبكل ركن رأس نسر طائر أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمناً في صدره قطارة(٥) لحساب أجزاء النهار تقطر
والطير وقفته عليه وفودها ومياهه قنواتها تتهدر
ينبوع عين لا يصرد شربها ورأسه من فوق ذلك منظر
برخامة مبهومة فتى ترد أربابه مشغولة لم يصر

وقال الأعشى :(٦)

وأهل غمدان حيث كانوا أجمع ما يجمع الجبار
فسيحتهم من الدواهي ناعمة عقبها الدمار

(١) تاريخ اليمن للواسعي اليماني طبعة السلفية بالقاهرة ص ١١٠ والاكليل جـ ٢ صـ ١٢
(٢) الاكليل جـ ٨ صـ ١٣
(٣) العرب وأطوارهم جـ ١ صـ ١٠
(٤) الاكليل جـ ٨ صـ ١٧
(٥) المراد بالقطارة هنا الساعة المائية . وكان هرون الرشيد أهدى إلى شرلمان قطارة بديعة ، ولا جرم أن مثالها كان على خلاقة منه لقطارة الهمدانية .
(٦) الاكليل جـ ٨ صـ ١٦

تسابيح وابتهالات ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

(صدقت من زعم أنه سلاها وراح يشبب بغيرها ، وعند ما استبد بها الحنين أقبلت [illegible] ، تعاتبه . فما كان منه إلا أن رفع لديها هذا اللحن الذي المفهاف)

قالت معاتبةً ، وعيناها تُعاتبُ ناظري
وقد استبدَّ بها الحنين إلى الحبيب الهاجر
وتنهدت من خافق بأسى الصَّبابة زاخر
أسلوتنى ؟! أم لا يزال هواك لى يا شاعرى
فأجبتها والشوقُ ملتهبٌ يؤجِّجُ بخاطرى

لولا عيونك «ياهناء» لما أجتُ السهدَ جفنى
ولما تسربلتُ الخيالَ معلقاً فى كل فن
ولما كرهت جحيمَ أحلامى وأناتى وحزنى
ولكنت أبقى حيث أغلال وأوهام وسجن
كالبلبل المسحور لم تسمع بشجوى أى أذن

قسماً بحبك وهى ينبوع ابتهالات الحياة
قسماً بثغرك حين يتلو تحت ثغرى أغنياتى
قسماً بحبينا .. بتلك الأمسيات الخالدات
ما عشت إلا كى تباركَ حبنا الزاكى صلاتى
أنت الهوى والشعر والإلهام لا بل أنت ذاتى

يا فتنتى أنا شاعر أهوى الجمال الساحرا
كم رحتُ أستوحيه أنغاماً وشعراً عبقريا
وأذيبُهُ لحناً على العشاق هفهافاً نديا
يا جنتى يا من رأيت بحبها الأمل الشهيا
لولاك كانت هذه الدنيا جحيماً سرمديا

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصري

مواكب الصحراء ...

للأستاذ ابراهيم الوائلى

أترانى — وقد هجرت غنائى — مزجياً غير أنَّة خرساء ؟
ليس بدعاً إذا تحطم قيثا ري وأمسى مبعثر الأشلاء
واعتنقت الحنين فى موكب الليـل لحوناً شجية الأصداء
فأنا الطائر الذى فقد العـش وولَّى يهيم فى بيداء
تائه ضلَّ فى مسارب ليل مكفهر مظلم الأرجاء
تتراءى عن جانبيه رمال بعثرتها الرياح فى الصحراء
وكهوف تضوَّر الوحش فيها لاهثاً لا يعب غير الدماء
تائه ضل والعواصف هوج يتناوحن فى حشا الظلماء
والتهاويل كل سوداء تلقى ظلَّها فوق أختها السوداء
ياله من معذب فى الدجى شارد الفكر !
بين حشد من الهواجس مجنونة الصور
وحشة الليل حيث لا النجم يبدو ولا القمر
والخيالات أعين يتقادحن بالشرر
عالم يلتقى به أيما طائف أو عبر

جُنَّت البيد فالسكون هباء دوَّبته الرياح بين يديا
كلما قلت : سوف يطلع فجر تخذ الليل لى قوافى سخريا
كلما قلت : سوف ألمح نجما قالت السحب : لن ترى ثم شيَّا
نم على الشوك فى القفار وحيدا وتنسم غبارها وتفيَّا
واسمع الريح إن أردت غناء وتجرع من الجلاميد ريًّا
ليس فى القفر غير دنيا من التيه يعيش الطريد فيها ويحيا
أتظن الأشواك مثوى رقيقاً أم تظن الرياح لحناً رخيَّا ؟
أم تخال الصخور تندى فتروى ظمأً أو تبل قلباً صديَّا ؟
عش كما شاءت الحياة غريباً واتخذ وحشة الظلام نجيَّا
إيه يا ليل لم تدع غير صحاق ولم تذر !
كل ما فيك مرهب من خيال ومن أثر
صور جهمة الرؤى ملء أذنٌ والبصر
والطريق المخيف يزخر بالشوك والحفر
عالم يلتقى به كل من طاف أو عبر

ابراهيم الوائلى

تعقيبات

الأستاذ أنور المعداوى

قضية الأمانة العلمية بين أستاذين فى الجامعة :

... ...

هذه قضية يعرضها علينا الدكتور جمال الدين الشيال مدرس التاريخ الإسلامى بجامعة فاروق ، أما موضوعها فيدور حول محور الأمانة العلمية كما يفهمها الجامعيون طلاباً وأساتذة ، وكما يجب أن يفهمها الرأى العام الذى يمثلا فى طبقات المثقفين ممن يقرأون « الرسالة » ، وهذه هى المحكمة التى نود أن نعرض عليها أدوار القضية ، القضية التى يريد الدكتور الشيال من جهته أن يتقدم بها إلى ساحة القضاء مطالباً بحفظ حقوقه الأدبية والمادية ... ونترك الدكتور الشيال يروى فصول القصة ، ونرجىء التعقيب حتى نهيىء بهذا الإرجاء فرصة الرد للدكتور محمد فؤاد شكرى أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة فؤاد :

« فى إبريل سنة ١٩٤٥ تقدمت إلى جامعة فاروق الأول برسالة عنوانها (تاريخ الترجمة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر) أرخت فيها — ولأول مرة — لحركة النقل عن الغرب فى عهد الحملة الفرنسية وفى عصر محمد على ، وقد نوقشت هذه الرسالة أمام لجنة مكونة من الأساتذة : عبد الحميد العبادى بك ، ومحمد شفيق غربال بك ، والدكتور محمد مصطفى صفوت الذين أجازوها لدرجة الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى ... ثم تقدمت بهذه الرسالة إلى مسابقة البحث الأدبى لسنة ١٩٤٦ التى عقدها المجمع الملكى للغة العربية ففازت بالجائزة ، وكانت اللجنة التى قرأت الرسالة وأقرت أحقيتها بالجائزة تتكون من الأساتذة : المرحوم أنطون الجميل باشا ، ومحمد فريد أبو حديد بك ، ومحمد أحمد العوامرى بك ، والدكتور ابراهيم بيومى مدكور .

وفى صيف سنة ١٩٤٧ زارنى فى منزلى بالأسكندرية الدكتور محمد فؤاد شكرى أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة فؤاد ، وطلب منى أن أعيره رسالتى ليطلع عليها فبينت لحضرته أنى لا أملك إلا النسخة الأولى المخطوطة بيدى وقدمتها إليه بكل ترحاب ، فأخذها معه ، وأبقاها عنده أكثر من عشرة أيام قرأها كلها فى خلالها ، ثم أعادها إلى فلم يجدنى بالمنزل فسلمها لمن به ومعها بطاقة باسمه — لا زلت أحتفظ بها — قال فيها بالحرف الواحد :

« أهنئك على هذا المجهود العلمى الصادق ، وأرجو أن تتاح لك الفرصة لنشر هذه البحوث القيمة حتى يفيد منها المشتغلون بتاريخ مصر الحديث ، وأشكرك بإعطائى هذا البحث الرصين لقراءته والإفادة منه ، وأرجو أن أتمكن من زيارتكم فى فرصة قريبة أخرى لإسداء الشكر الخالص » .

وفى صيف سنة ١٩٤٨ ظهر كتاب جديد فى ٨٤٠ صفحة من تأليف الدكتور شكرى وزميلين له من المدرسين فى المدارس الثانوية ، وعنوان الكتاب : « بناء دولة — مصر محمد على » وقرأت فى الصحف أن الكتاب يتضمن ترجمة كاملة لكثير من تقارير الأوربيين عن حكومة محمد على ، أمثال بورنج وبوالكنت وكاميل ... ولحاجتى الداعية لهذه التقارير أسرعت فاشتريت نسخة من الكتاب . وتصفحتها فإذا بها تتكون من قسمين : قسم مؤلف فى نحو ٢٠٠ صفحة ، وقسم يحتوى الترجمات السابق ذكرها فى ٦٠٠ صفحة ، وقلبت صفحات القسم المؤلف فإذا بى أجد فصلاً فى ٢٠ صفحة كبيرة عن « الترجمة والطبع والنشر فى عصر محمد على » ، وقرأت هذا الفصل فرأيت وياهول ما رأيت ، رأيت الصديق والزميل الفاضل أستاذ التاريخ الحديث المساعد قد سطا على رسالتى سطواً تاماً فلخصها فى هذا الفصل تلخيصاً كاملاً !!

حتى المنهج — منهجى فى البحث — قد سطا عليه فقد التزمه عند التلخيص وتتبع أبوابه وفصوله باباً باباً وفصلاً فصلاً ، لم يحد عنه قيد أنملة : فهو قد بدأ بالكلام عن بواعث حركة الترجمة فى عصر محمد على ، وانتقل منها إلى الحديث عن المترجمين فقسمهم إلى مترجمين من السوريين ، ثم من خريجى المدارس والبعثات ، ثم من خريجى مدرسة الألسن ، ثم من الموظفين ... تماماً كما فعلت .

وترك هذا الفصل إلى الفصل الذى يليه فى رسالتى وموضوعه التحدث عن المحررين والمصححين ، فإذا فرغ منه انتقل إلى الحديث عن القواميس والمعاجم كما انتقلت أنا ، وترك هذا كله فتحدث كما تحدثت عن حركة الطباعة والنشر باعتبارها آخر مرحلة من مراحل حركة الترجمة ... حتى الملاحق — ملاحق الرسالة — لم يتركها لى ، فقد ألحقت بالرسالة مجموعة كبيرة من

الجداول أحصيت فيها بعد جهود شاقة الكتب التي ترجمت في مصر محمد علي، مع بيانات وافية عن مؤلفيها ومترجميها وأوصافها الخ، وقد قدمت لهذه الملاحق بالحديث عن المحاولات التي سبقتني في هذا الميدان، ورتبتها ترتيباً تاريخياً مع بيان نواحي القصور فيها لإيضاح قيمة الجديد في جداولي، وقد سطا الدكتور شكري على هذا أيضاً ناقله تماماً كما أوردته في رسالتي!

ومن هنا ترى أن الدكتور شكري قد سطا على الرسالة منهجاً وموضوعاً، وإذا أنت قارنت بعد ذلك بينها وبين فصله لتبين لك في وضوح تام أنه لم يسط على المنهج والأفكار فقط، وإنما قد سطا على العبارات والألفاظ كذلك، فنحو ٨٠ ٪ من عباراته هي عباراتي بألفاظها وحروفها. ومع هذا كله لم يشر حضرته بحرف واحد — لا في الهامش ولا في قوائم المراجع على كثرتها البالغة في نهاية الكتاب — إليّ أو إلى رسالتي، لا بشكر ولا بما يفيد رجوعه إليها واعتماده عليها وحدها اعتماداً كاملاً تاماً عند كتابة هذا الفصل ... وهكذا ترى كيف يقيم أساتذة الجامعة لواء الأمانة العلمية!!

سلسلة من الأخطاء: هذه رسالة علمية لم تطبع بعد، فالنقل عنها والرجوع إليها يستلزم أن يستأذن صاحبها أولا، والدكتور شكري لم يستأذني في هذا، مع أن التقاليد الجامعية في العالم كله تلزم الباحث بهذا، فكل بحث يقدم إلى أي جامعة تودع نسخة منه في مكتبتها، ولكن هذه النسخة تظل عشرة سنوات كاملة — ما دامت لم تطبع — ولا يمكن أن تعار لإنسان كائنا من كان إلا بإذن صاحبها الخاص، وإذا اطلع عليها مطلع وأراد النقل عنها في مؤلف له سيطبعه فلا بد أن يستأذن صاحب البحث في هذا، بل إنني أعرف كتباً استصل أصحابها صوراً — صوراً شمسية لا أفكاراً — موجودة في كتب لمؤلفين آخرين، فاستأذنوا أصحاب هذه الصور، ونصوا في كتبهم على هذا مع تقديم الشكر لأصحاب الصور!

أما الخطأ الثاني فأغرب، فالمعروف أن المؤلف إذا أفاد من جهود غيره نقل عنها فكرة أو جملة، أما أن يسطو على مؤلف بحاله فيلخصه تلخيصاً كاملاً، وينقل معظم عباراته بحروفها فأمر لم أره إلا في كتاب الزميل الدكتور شكري! — أما الخطأ الثالث فأغرب وأغرب، فالمعتاد إذا استشهد المؤلف بأقوال غيره أن يضعها بين أقواس وأن يشير إلى المرجع في الهوامش، وأن يقدم الشكر لمن ينقل عنه وخاصة إذا كان مرجعه الوحيد في الموضوع الذي يكتب عنه، والزميل الفاضل الدكتور شكري أهمل الإشارة إلى بحثي إهمالاً تاماً — قد يدعي حضرته بعد هذا أنه نسي أو تناسى، أما كان يمكن أن يذكر نسيانه بالإشارة السريعة في آخر صفحة من الكتاب أو في المقدمة، وهي آخر شيء، قدمه إلى المطبعة، حتى هذا لم يفعله، ولكنه قال في مقدمة كتابه: « وليس من سبيل إلى معالجة هذا الاضطراب إلا بمعاودة النظر في ذلك التاريخ (تاريخ محمد علي) لكشف ما خفي من حقائقه، وتفصيل ما أجمل من دقائقه في حدود الأمانة العلمية » — أجل، في حدود الأمانة العلمية كما يقول الدكتور شكري، واقرأ مني واضحك، وشر البلية ما يضحك!!

وأخيراً لعل الشك يساورك فيما أقول، ولكنني أعلن إليك أنني أحتكم في هذا الموضوع إلى حضرات الأساتذة الأجلاء الذين ناقشوا الرسالة في الجامعة، والذين رشحوها لنيل الجائزة في المجمع، فهم جميعاً قد قرأوها قراءة فهم واستيعاب، وأمامهم كتاب الدكتور شكري يقرأونه ويقارنون . . . وإني على استعداد لأن أقدم نماذج من المقارنات، بين نصوص رسالتي الأصلية ونصوص الدكتور شكري الملخصة لتبين في وضوح صدق هذا الذي أقرره! وقد فكرت جدياً في رفع الأمر للقضاء محافظة على حقوقي الأدبية والمادية، ولكنني وقفت أخيراً بسمعة الدكتور شكري العلمية، وآثرت أن أكتب إلى عميد كلية الآداب والدكتور شكري أستاذ من أساتذة الكلية، وغاية ما أرجو أن يطلب إليه الأستاذ العميد:

١ — أن ينشر تصريحاً موقعاً عليه منه في الأهرام ومجلة الرسالة ومجلة الكتاب ينص فيه صراحة أنه اعتمد — عند كتابة هذا الفصل من كتابه — على رسالتي اعتماداً كلياً، ويعتذر من عدم الإشارة إلى ذلك في هوامش الكتاب ومراجعه.

٢ — أن يكتب لي كتاباً خاصاً يذكر فيه هذه الحقيقة ويعتذر عما فعل.

« دكتور جمال الدين الشيال »

هذه هي القضية كما يعرض أدوارها علينا الدكتور الشيال، ومن حقه علينا أن نعرضها بدورنا على محكمة الرأي العام الفني، كما أن من حق الدكتور شكري علينا أيضاً ألا نتناوله بكلمة

واحدة فى مجال التعقيب عليها حدث ، حتى فسمع دفاعه ... وهذا هو الانصاف الذى تفرضه علينا « الأمانة القلمية » بالنسبة إلى الأستاذين الفاضلين !

حول الموسيقار الإيطالى الصغير فيروتشو بوركو :

طفل إيطالى لم يتخط الحادية عشرة من عمره ، ومع ذلك فهو يفهم النوتة الموسيقية كما وضعها كبار الأساتذة ، ويؤديها أنغاماً كأدق ما يكون الأداء ، وتبى ذا كرته النادرة وذوقه الموهوب ألحان العباقرة من أمثال بتهوفن وموزار وشوبير وفردى وروسينى وتشايكوفسكى وبرامز وليست ... وهو بعد ذلك يقود فرقة موسيقية مكونة من ستين عازفاً من أشهر عازفى الموسيقى فى العالم . هذا الطفل النابغ هو فيروتشو بوركو الذى أذهل بنبوغه المبكر أقطاب الفن وهواته فى كل من إيطاليا وسويسرا وفرنسا وأمريكا ، والذى حل ضيفاً على مصر منذ أيام تصحبه فرقته الموسيقية الضخمة ليقيم فيهـــا بضع حفلات موسيقية يترقبها الجمهور باهتمام بالغ ! .

ينحدر هذا الموهوب الصغير من صلب أبوين وهبا حياتهما للفن ونذرا له الابن ؛ فأمه مغنية من مغنيات الأوبرا بذرت فى نفس وليدها بذور الموهبة الفنية عندما كانت تصحبه معها إلى المسارح وعمره سنتان ونصف، وهناك أخذ الطفل بسحر الموسيقى التى استولت أنغامها على مشاعره وهزت كل ذرة فى كيانه ، ولمح المحيطون به بوادر النبوغ ممثلا فى أذنه الموسيقية وإحساسه المرهف ، فأشاروا على أمه المغنية وأبيه الخال أن يدفعا به إلى من يتعهده بالتوجيه والرعاية ، وفى ظل أستاذه درس الطفل أصول الفن الموسيقى حتى أصبح على مر الأيام أعجوبة بهرت الأنظار والأسماع هنا وهناك !

هذا هو الموسيقار الإيطالى الطفل فيروتشو بوركو الذى تنافس شهرته الآن شهرة الموسيقار الإيطالى الشيخ توسكانينى ... وإذا كان لنا من كلمة نعقب بها حول هذا الموسيقار الصغير فهى أنه يقتصر على عزف موسيقى غيره من عباقرة الفن الذين أشرنا إليهم فى بداية هذه الكلمة أى أنه لم يملك القدرة بعد على التأليف الموسيقى الذى يتمثل فى وضع نوتة من صنع موهبته الذاتية ، ولكن ذلك لا ينقص من قيمته لأنه لا يزال فى بداية حياته الفنية التى تنتظرها الأيام ويترقبها المستقبل ، ثم إن توسكانينى الشيخ ذا الشهرة الدوية والمكانة الرفيعة لا يفترق عنه فى هذا المجال ، مجال قيادة الأوركسترا وعزف ألحان الغير ! ... وإذا كان بعض النقاد يشيدون بهـذه العبقرية المبكرة فى حياة هـذا الطفل الفنان ، فماذا يقولون فى سيد العباقرة موزار ، ذلك الفنان الذى وهب القدرة على التأليف الموسيقى وهو فى الرابعة من عمره ، حتى أن بعض ألحانه الخاصة التى تنسب إليه وهو فى تلك السن يعزفها الآن كثير من قادة الفرق الموسيقية وفى مقدمتهم بوركو وتوسكانينى؟! هنا يقام الميزان الحق للعبقرية المتفردة ! !

بقية الرسائل فى حقيبة البريد :

أقول لصاحب الرسالة الأولى الأديب الفاضل ص . م . ت « عطبرة — سودان » إن الموضوع الذى عرضته على سأكتب عنه فى فرصة مناسبة . وأقول لصاحب الرسالة الثانية الأديب الفاضل عمر عيسى السامرائى « بغداد — العراق » إن تعقيبك على ما رددت به عليك حول ما جاء بكتاب «على هامش السيرة» لا يغير شيئاً من الحقيقة التى أشرت إليها من قبل ، حين نفيت لك ما رميت به صاحب الكتاب من التناقض فى أقواله ، وإذا كنت قد قلت إن ورقة قد قص على نسطاس قصة أخرى فى ص (٥٢) فإنما كنت أعنى أنه قد أفضى إليه بمصدر القصة الأولى الواردة فى ص (٥١) أى أنه سرد له قصة أخرى هى قصة القصة ! وأقول لصاحب الرسالة الثالثة الأديب الفاضل م . س « قنا » إن الإقدام على الأمر الذى حدثتنى عنه خير من الإحجام وأقول لصاحب الرسالة الرابعة بعد شكره على كرم تقديره وهو الأديب الفاضل ابرهيم جرجس « قنا » إنه يؤسفنى ألا تكون « مذكرات إديسون » بين يدى حتى كان يمكننى أن أجيبه عن سؤاله . وأقول لصاحب الرسالة الخامسة الأديب الفاضل محمد الديبى « المديسات » إن مما يحول بينى وبين الكتابة عن الشاعر المصرى الذى أشار إليه هو أنه ليس بين يدى شىء من شعره . وأقول لصاحب الرسالة السادسة بعد شكره على حسن ظنه وهو الشاعر الفاضل محمود البكرى محمد « الكيمان » إن رسالته محل عنايتى . كما أقول ذلك أيضاً لصاحب الرسالة السابعة وهو الشاعر الفاضل محمد مفتاح الفيتورى « الاسكندرية » ... ولهؤلاء الأصدقاء جميعاً خالص التحية .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اليوم خمر :

افتتحت الفرقة المصرية موسمها الحالي يوم السبت الماضي على مسرح الأوبرا الملكية ، برواية « اليوم خمر » للأستاذ محمود تيمور بك ، وقد أخرجها الأستاذ زكي طليمات المدير الفني للفرقة .

وهي مسرحية (كوميديه) تصور حياة الشاعر امرىء القيس شابا لاهيا سادراً في لهوه وعبثه نزاعا إلى حياة الطلاقة والتحرر عما يعرض له من الأمور الجسام ، حتى الحب الذي أنقله في النهاية بثلاث نساء ، لم يستطع أن يواجهه ففر منه ...

وتمازج عرض تلك الشخصية صور إنسانية وقيم أخلاقية واجتماعية وقضايا فكرية ، تتخلل كل ذلك مفارقات وطرائف أضفت على جو المسرحية روحا فكهاً مرحاً ، جعلها ملهاة من الأدب الرفيع .

وقد قرأت هذه المسرحية عند ظهورها مطبوعة منذ شهور ، ثم شاهدتها على المسرح ، فلاحظت أن المخرج الأستاذ زكي طليمات تصرف فيها تصرفا غايته الاختصار لطولها ، وتيسير بعض كلامها توخيا للملاءمة بينها وبين الجمهور ، فقد وضعها المؤلف فتكون أثراً أدبياً يقرأ قبل أي شيء ، وقد جعل أسلوبها قريباً من عصرها ولم يبعد به عن ذوق عصرنا ، ومع هذا كان لا بد من أن يصنع المخرج ما صنع ، وهو مع ذلك لم يمس الأسلوب المتين والتركيب القوي . وقد بذل الأستاذ زكي طليمات من فن الإخراج في هذه المسرحية ما جعل الفن الرفيع يتعاون مع الأدب الرفيع ، وما أظن هذا القول يتعارض مع ما سأتناوله بعد من الملاحظات والمآخذ .

تتكون المسرحية من خمسة مشاهد ، نرى في الأول امرأ القيس وحاشيته من رفاق وخدم عند غدير دارة جلجل ، يلهون ويقصفون ثم توافيهم هناك الجارية الجميلة « أقحوان » حيث تلتقي بامرىء القيس لأول مرة ، وترقص أقحوان قربانا للصنم « هبل » الذي يتوسط المكان ، ثم تأخذ هي وامرؤ القيس في مداعبة ومغازلة تنتهي بغضب أقحوان من امرىء القيس لانصرافه عن تقبيلها إلى إطراء عينيها ثم التوجه إلى مناجاة القمر في السماء ، وتنصرف بعد أن تقول لرفاقه : إن صاحبكم ليتشدق بالطعن والضرب ، آخذاً للحرب أهبتها في كل وقت ، فإن حانت ساعة العراك تبوأ مقعده يرقب السماء ويحصي نجوم الليل . وهكذا تظهره هياباً نفاجاً ليس كمثله هياج ولا نفاج ، كما تقول له .

ثم يقبل سرب من العذارى ، قاصدات غدير دارة جلجل يبتردن ، فيخلون لهن المكان ، ثم يتسلل إليهن امرؤ القيس وحده وقد خلعن ثيابهن — يطفأ نور المسرح في هذه اللحظة — ويجري بينه وبينهن حديث ظريف ينتهي بإصراره على ألا يدفع إليهن ثيابهن — وقد استولى عليها — إلا بعد أن يخرجن إليه متجردات .

ثم يقبل الملك حجر وبصحبته فاطمة بنت أخيه ، فيؤنب الوالد ولده على مسلكه ويحاول فاطمة أن تلطف من حدة الموقف وتتبين في أثناء ذلك أن فاطمة فتاة طموح تريد أن تحث امرأ القيس على الأخذ بأسباب الجد ، وهما يتبادلان عبارات الحب والمودة .

وفي المشهد الثاني نرى امرىء القيس في ناحية من سفح جبل دمون باليمن ، يلعب بالشطرنج مع أحد أصحابه ، وبقية رفاقه على مقربة منه يشربون الخمر وأمامهم قينة ترقص . ثم يقبل ناعي ابن معاوية عند الملك حجر ، متجهم الوجه ، وينعى إلى امرىء القيس أباه الملك ، فيستمر امرؤ القيس في اللعب غير عابىء بالنبأ ، حتى يتم الدست ... ثم يعلن أن اليوم خمر وغداً أمر ، وينشد :

خليلي ما في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك ما كان نشرب

وتدخل عليه فاطمة وتستحثه على الثأر من بني أسد قتلة أبيه ، فيبدي لها عزمه على المضي في أخذ الثأر ، ثم يأخذ في تأمل عينيها وهو ثمل يترنح ، فتصده عنها ، فيبثها حبه ، فتعده بمبادلته الحب بعد أخذ الثأر .

وتقبل المشهد الثالث نرى على المسرح منظراً عجيبا . سحبا متكاثفة تسير في جو البادية ، ونسمع خلال سيرها صوت الأستاذ زكي طليمات يحدثنا حديثاً موجزاً من حروب امرىء القيس مع بني أسد وانتصاره عليهم وإيقاعه بهم ، وعودته إلى الشرب واللهو

بعد ما نال منهم ما عده ثأراً ، وتحريض ابنة عمه فاطمة له على الاستمرار فى حروبهم .

والواقع أن هذا الحديث إجمال لما حدث فى فصل حذف من أصل الرواية ، وكان ذلك ، مع منظر السحب اللائم للحوادث ، تجديداً رائعاً فى المسرح المصرى .

ثم يأتي المشهد الثالث وهو فى كهف بشمال اليمن حيث يجلس امرؤ القيس مهموماً ، ينتظر عامر بن معاوية الذى أرسله إلى رؤساء القبائل يستنجد بهم ، بعد أن خزلته قبيلتا بكر وتغلب ولحقته الهزائم ، وتقبل عليه فاطمة ، فيغلظ لها فى القول ، ولكنها تحزن لمرآه وتتودد إليه وتعبر عن ندمها على تحريضه حتى أوقعته فى هذه الحال ، وتتقلب إزاء تجهمه لها أنثى وديعة محبة مستذلة ، وماتزال به حتى يلين لها ويساعدها على الحب . ويقبل عامر وينهى إليه أن أحداً لم يستجب له ، ثم يشير عليه أن يتوجه إلى الحارث الغسانى بالشام ليستعين به ، وهو عدو للمنذر الذى أعان بنى أسد وأهدر دم امرىء القيس .

ولكن صديقاً لامرىء القيس « حمصام » عاد من رحلته التجارية وأقبل عليه فى هذا الموقف ، فأشار بالتوجه إلى قيصر بالقسطنطينية ، ويقول فيما يقول لامرىء القيس إنها عروس المدائن وتزخر بالحسان والخمر المعتقة ... ويعلن الرحيل إلى القسطنطينية .

والمشهد الرابع فى حانة ميخايلوس بالقسطنطينية حيث نرى أبا زبيبة وحنظلة غادمى امرىء القيس يشربان ويغازلان لاروكا ابنة ميخايلوس وميرورة الفتاة الخليعة بالحانة . ويظهر لنا من الحديث أن لاروكا قد أحبت امرأ القيس ، وأن المدينة تردد نبأ العلاقة الجديدة بين الفتى العربى (قيس) وبين ابنة القيصر التى أحبته . ويقبل امرؤ القيس إلى الحانة . وفيما هو ولاروكا يتبادلان عبارات الحب يقتحم عامر بن معاوية وفاطمة ، فتنصرف لاروكا وتسمع حديثهم الذى يتضمن أن كسرى مستعد أن ينصر امرأ القيس الذى يتأبى أن يلجأ إلى عدو قيصر بعد وعده المعونة على أمره .

والمشهد الخامس فى الحانة أيضاً ، وبينا حنظلة يغازل ميرورة يقبل امرؤ القيس ، ثم تقبل فاطمة وعامر وحمصام ، وتقدم ابنة القيصر لتلوم امرأ القيس على غشيانه هذه الحانة

كشكول الأسبوع

◘ كان المقرر من قبل أن الدكتور طه حسين بك هو الذى سيستقبل صديقه الأستاذ أحمد حسن الزيات فى حفلة الاستقبال العلنية التى ستقام فى مجمع فؤاد الأول فى الساعة الحادية عشرة من يوم الإثنين المقبل ، ولكن تأخر الدكتور طه فى انجلترا لن يمكنه من حضور الحفلة ، ولذلك سيقوم باستقبال الأستاذ الزيات صديقه الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك .

◘ وافق مجلس الوزراء على إبرام اتفاق ثقافى بين مصر وبلجيكا ، ومن أهم ما يتضمنه هذا الاتفاق أن تبذل كل من الحكومتين قصارى جهدها لكى تلقى فى جامعاتها محاضرات فى لغة البلد الآخر وآدابه وتاريخه وغير ذلك مما يتصل به ، وأن تقوم الحكومتان بتسهيل وسائل البحوث العلمية والثقافية التى تجريها جماعة من البلدين

◘ عرف الدكتور ابراهيم ناجى الأسلوب بأنه أقصر خط بين قلب الكاتب وقلب القارىء .

◘ ينص قانون الإذاعة الجديد على ألا يكون أحد أعضائه عضواً بالبرلمان . ولهذا سقطت عضوية طراف على باشا وزكى على باشا والأستاذ عباس محمود العقاد ، ويعمل ولاة الأمور الآن على تعيين ثلاثة مكانهم .

◘ فاز الأومباشى خليل حسن خليل ، أحد جنود الجيش ، بشهادة (الليسانس) من كلية الحقوق مع درجة جيد ... وهو حدث اجتماعى ثقافى يجب أن يبرز ويأخذ مكانه من الاعتبار والتقدير .

◘ اعتنقت الأديبة الانجليزية جيليس د . كرامر — الإسلام ، وهى تقول إن الإسلام أحسن طريقة لنشر الأخوة والعدالة الاجتماعية ومنع الحروب فى هذا العالم المضطرب .

◘ استمعت فى « ركن الريف » بالإذاعة ، هذا الأسبوع — إلى تمثيلية عنوانها « صوت الضمير » فعجبت لما تضمنته من الأذان لصلاة العيد ... والفلاحون يعرفون جميعاً ما يجهله المؤلف والمخرج من أن صلاة العيد لا يؤذن لها .

◘ كانت الفرقة المصرية أعلنت بعض المسرحيات التى ستقدمها فى هذا الموسم ، ومن بينها « رصاصة فى القلب » فلما عاد مؤلفها الأستاذ توفيق الحكيم من باريس وعلم بذلك ، أبلغ الفرقة أن العقد المبرم بينه وبينها لتمثيل هذه الرواية قد انتهت مدته فى العام الماضى ، وقد كان الاتفاق أن يقوم ببعض الأدوار الهامة ممثلون معينون ، لقاء نسبة مئوية من الأرباح تدفع لهم وللمؤلف ، ولكن ذلك لم يتيسر . وترى الفرقة أن هذا لا يتفق وما تنتظره من معاونة كبار المؤلفين على تأدية رسالتها .

◘ تقدم عدد كبير من الطلبة والطالبات فى هذا العام للمعهد العالى لفن التمثيل العربى ، راغبين الالتحاق به . ومما يذكر أن ثلاثين فى المائة منهم حاصلون على شهادات عالية .

◘ جاء من روما أن قداسة البابا يدرس الآن اللغة العربية بإشراف ثلاثة من رجال الدين العرب فى الفاتيكان وأن قداسته تقدم فى هذه الدراسة وهو يشعر بلذة فى تعلم العربية .

الوضيعة . ويقف امرؤ القيس بين ثلاث عصابات يتنازعنه : فاطمة وابنة القيصر ولاريسكا . وفجأة يدخل صاحب شرطة قيصر يريد القبض على هؤلاء البدو بتهمة التجسس لكسرى . ويتضح أن لاريسكا هي التي أبلغت أمرهم ، لتحول دون رحيل امرىء القيس ويتصدى امرؤ القيس للشرطة ويأبى أن يسلم فاطمة وعاصر وصمصاماً ، ويستل سيفه وتدور بينه وبين الشرطة معركة يقضي عليهم فيها ، ويصيح بأهله أن يقفزوا من تل سور الحانة إلى البحر ويلحق بهم ، يطلبون في البحر مهرباً .

الصورة الواضحة لامرىء القيس في الرواية هي أنه فتى عابث ماجن نفاج لا يعرف الجد ولا يتحمل التبعات ، ولكن امرأ القيس « الشاعر » لا يكاد يوجد فيها . نعم إنه أنشد أقوان بيتين ، وروى خادمه أبو زبيبة الأبيات التي مطلعها :

سموت إليها بعد ما نام أهلها ... سمو حباب الماء حالاً على حال

وأنشد بضعة أبيات بالمشهد الثالث . ولكن كان ذلك ضئيلا لا يكوّن للشاعر صورة ، وقد حذف جزء من الفصل الأول كان فيه ينشد أبياتاً ظريفة لعذارى الغدير . وكان هذا الجزء بسبيل إلى إبراز صفة الشاعرية . ومن تصرفات امرىء القيس القليلة الدالة على رقة الشاعر وإنسانيته ، موقفه أمام الغزال الذي اصطاده وأسفه على أن صرعه وقوله في ذلك : ألا يستطيع المرء منا أن يأكل دون أن يقتل ؟

ولم يكن تنزله بفاطمة ليلة نعي أبيه وهي مكتئبة حزينة باكية وإلحاحه في مداعبتها ومجاذبتها على هذه الحال ، مما يتفق والإحساس المتأنق النبيل الذي يتميز به الشاعر ، بل كان هذا الموقف أدنى إلى الحيوانية ، ولا يبرره السكر ، فإن الإحساس الأصيل لا يتغلب عليه شيء . والطبع الفني الرقيق لا يخرجه العبث والمجون من دائرة شاعرية الإنسانية العالية .

والفصل الثالث الذي اضطر المخرج إلى حذفه ، كان يحتوي أمرين مهمين ، أولهما بيان خلة امرىء القيس في حرصه على ألا يضيع حظه من اللهو والشراب طويلاً ، فما إن نال من بني أسد بعض النيل حتى هرع إلى اللهو وإباحة الشراب .

الأمر الثاني تصوير فاطمة وهي تجد في العمل على مواصلة القتال وتحريض امرىء القيس ، وهذا التصوير ضروري لكي يدرك المشاهد روعة انقلابها عندما أعرض عنها امرؤ القيس وأغلظ لها فإن هذا الانقلاب الشعوري لمة في أثناء الحوادث يدل على حرص الأنثى على الناحية العاطفية مهما اشتدت وتعالت إلى الجد . ولم يكن الحديث الموجز الذي نطق به الصوت المسموع كافياً لإبراز ذينك الأمرين .

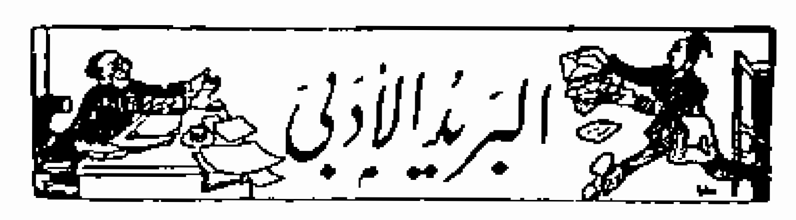
وفي المشهد الثالث عندما يئس امرؤ القيس من مساعدة من ا[illegible] نراه يستغرق في تأملاته وتفكيره استغراق المجرب الذي عرك الحياة وعلمته الشدائد ، فيتحدث عن تغير الأصدقاء ، وعن قيمة الحياة وهل هي اللذة بإشباع البطن وقضاء الشهوة يستوي في ذلك الإنسان وغيره من الحيوان ، أو لها أهداف ومقاصد يسمو إليها كل ذي عقل ورشد ، ويتحدث عن القدر وموقف الإنسان منه حتى ينتهي إلى أن القدر لا يستطاع دفعه ولكن للإنسان تبعته ونصيبه ، فالأقدار يد تدفع ولكن إرادة الإنسان تغالب .

وقد كان هذا الموقف يثقل على المشاهدين لولا ما تخلله من مفاكهات الخادمين حنظلة وأبي زبيبة ، فالأول يرى أن للقدر هو كل شيء فقد رمى الوعل بأسهم عشرات فما أصابت منه مقتلاً ، وشاء القدر أن يرتطم في حفرة فناله بلا كد ولا عناء . ويرى الثاني أن الإنسان إن لم تكن له إرادة لم يتيسر له مطلب ، كيف استمتاعك بالمرأة إذا لم تسع جاهداً حتى يتبدل عسرها يسراً ويعود جماحها ميلاً وانعطافاً ؟

وهكذا نرى تلك الأفكار تساق في مساق ظريف يندى جنانها على المشاهدين . ولكن في بعض الفترات خلا امرؤ القيس إلى نفسه وأطال في المناجاة حتى أمل ، وحدث ذلك مرتين ، أنهى الأولى دخول حنظلة ، وأنقذ الجمهور في الثانية قدوم صمصام .

وقد كانت الخاتمة جيدة في أمر ، ومضحكة في أمر آخر ، فقد كان رائعاً ألا يتخلى امرؤ القيس عن أهله ويقف بالسيف دونهم على رغم إغراء البيئة التي أغرق فيها . أما القفز إلى البحر والهرب فيه مجاهرة من قيصر وشرطته ، فلا أستطيع أن أتصور عجز الحكومة القيصرية عن اللحاق بأربعة من البدو متهمين بالتجسس للعدو ، يقفزون من شاطئ القسطنطينية أمام الأبصار .

وجهد الأستاذ زكي طليمات في إخراج الرواية ، بارز عظيم ، وقد جسم الجو البدوي الملائم للحوادث على المسرح ، ووفق في



الوعي الأدبي في الرسالة !

١ – يعجبني كتاب الرسالة وقراؤها الكرام ، فهم بحق وبلا منازع تلك الثلة المستنيرة التي تتذوق الأدب وتتمشقه ، وتعرف فنونه وأساليبه ، وتتفانى في خدمته ، فلا عجب إذا رأينا ألا تفلت منهم صادرة أو واردة من القول ، حتى يتعرفوا مصدرها ويسبروا غورها ؛ فهم تارة يظهرون عوار الكاتب إذا لحن أو زل قلمه فنزا قولا لنفسه ولم يرده إلى قائله ، أو نقل فكرة أو قصة ونسبها إلى قلمه زوراً .

وهاهي أقلام كتابها تتبارى ولا تفتأ تذكر أن تلك الفكرة لفلان ، أو أن هذه القصة من وضع فلان ، أو أن هذا المقال قد نشر في مجلة كذا للمرة الثانية ، حتى أصبحت الرسالة النيرة مضرب المثل في التثبت والتحقيق والتدقيق والأمانة الأدبية الممتازة ، فهي لا تحابي صديقاً أو تتسقط عدواً ، لأن مركزها الأدبي يحتم عليها أن تقوم بالقسطاس ، وهو الذي أهلها لتلك المنزلة الرفيعة بين زميلاتها.

أكتب هذه الكلمة البريئة — والأسف يملأ النفس — إذ أنظر إلى مقال قد نشر مرتين في وقت واحد وفي قطر واحد تحت عنوانين مختلفين — وصلب المقال واحد لم يتغير — وذلك المقال قد نشر في مجلة الأزهر الرسمية في الجزء السادس ص ٥٥٥ من المجلد الثامن عشر تحت عنوان « على قيثارة الذكرى » ثم نشر في مجلة الأمانة في العدد السابع ص ٢٦ من المجلد الأول تحت عنوان « ليلة كاملية » . وها قد مضى على نشر هذا المقال بصورتيه مدة طويلة وقراء الأزهر والأمانة في سبات لم يحرك أحدهم ساكنا ، وفات الأستاذ الفاضل أن يشير إلى ذلك — حتى لا يعاتب أو يؤاخذ — على هامش أحد المقالين .

ولا أدري السبب الذي دعا فضيلة الأستاذ وهو عالم ومدرس بالأزهر إلى ذلك ، بل ما سبب تغيير العنوان على هذه الصورة المريبة ؟ نريد جواباً !

وبعد فنحن في عصر كثرت فيه الأقوال بلا ميزان ، وقلت بل عزت الأفعال ، وكثيراً ما تخطر الفكرة ويسطرها القلم ثم تحجم النفس عن إرسالها للنشر ، حتى لا تكون حجة أمام الله سبحانه وتعالى .

على أن العبرة ليست بكثرة الكتابة والتحبير في الجرائد

توزيع الأدوار على قدر الإمكان —

وقد مثل « امرأ القيس » أحمد علام ، فنهض بالدور وإن لم يكن نجاحه فيه كاملا ، وذلك أنه لم يعبر عن طبيعة امرئ القيس الماجنة ، لا بالصوت ولا بالحركات ، ولم يكن يظهر عليه المرح في وقته كما ينبغي أن يظهر ، ولم يكن ثمة فارق كبير بين أحواله المختلفة في الإلقاء ونبرة الصوت ، وأحمد علام أليق بالأدوار الجدية كدور مجنون ليلى منه بمثل هذا الدور العابث الماجن .

وقد تبين كسله في حفظ دوره ، وهذا الكسل وإن كان ملحوظاً لدى أكثر الممثلين والممثلات ، إلا أنه كان ظاهراً في أحمد علام الذي كان يعتمد على الملقن حتى إنه كان ينطق بعض الجملة ويمضي إلى الملقن ليسمعه بقيتها . ويبدو أن الممثلين والممثلات لم يمرنوا التمرين الكافي على سلامة النطق وتصحيح اللغة ، فقد تم التكسير في الكلمات وضبطها ، ولم يكن ذلك منتظراً ولا لائقاً بأستاذ كأحمد علام .

ومثلت « فاطمة » فردوس حسن ، فأجادت التمثيل وأدت دورها أداء باهراً ، ولم ينقصها غير النطق العربي الفصيح ، وهنا غير سلامة الضبط ، إنما هو اللهجة وكيفية إخراج الكلمات ، وأظهر ما في نطقها دغم الكلام وعدم الإبانة . ومن المفارقات أن اللاتي مثلن لا ويسكا (إحسان شريف) وميلورنا (زوزو حمدي الحكيم) وابنة القيصر (روحية خالد) كن ينطقن نطقاً عربياً — وهن يمثلن أعجميات — أحسن من نطق فردوس وهي تمثل فاطمة العربية .

أما فؤاد شفيق فأنا معجب به لظرفه وقدرته على أداء هذا الظرف باللغة الفصيحة ، وهو روح نابض في الرواية ، وقد مثل « حنظلة » .

وقد وفق سائر الممثلين والممثلات في الاندماج في أدوارهم ، وخاصة فاخر فاخر « صمصام » وكان حسن البارودي في دور « قبيصة بن نعيم » موفقاً في التعبير بصوته وإلقائه إلى حد بعيد ، عند ما تكلم عن وفد بني أسد إلى امرئ القيس .

عباس خضر

والمجلات على أية صورة ، وإنما تقاس قيمة الكاتب الناضج بمقدار ما ينتج مما يفيد قراءه في حياتهم العاجلة والآجلة ، وإلا كانت الكتابة من الترهات التي هي وعدمها — في نظر العقلاء — سواء .

٢ — انقطعت الأخبار من مدة وزاد الحنين إلى الجار العزيز الأستاذ علي الطنطاوي فهل نرى قلمه يصف « مأساة فلسطين » نرجو أن ينصح ويجيب مع قبول التحيات .

(شطانوف) محمد منصور خضر

التم وليس البجعة :

يكثر فنانو الغرب من تسمية بعض أعمالهم الفنية باسم الطير المائي المعروف بـ Swan ، واعتبارهم إياه مصدر وحي لهم .

ولعل السبب في ذلك هو أن لهذا الطير منظراً جذاباً ، ومنه استوحى تشايكوفسكي رقصة (بحيرة الـ Swan) ومنه استلهم تشيخوف تمثيليته ذات الفصل الواحد المعروفة بـ (أغنية الـ Swan) .

ومما يثير الدهشة أن أدباء مصر وفنانيها قد أجمعوا على تعريب كلمة Swan هذه بـ (البجعة) ، وهذا خطأ لغوي وفني كبير لأن البجعة هي غير الـ Swan .

فالبجعة هي طائر مائي أيضاً لكنه عريض المنقار طويله ، له حوصلة عظيمة تحت منقاره ، يخزن فيها كمية من الأسماك .

وأما التم فهو طائر مائي له عنق طويل معقوف على شكل حرف S ، عادي المنقار ، قصير اليدين وتمتان إلى القسم الخلفي من جسمه .

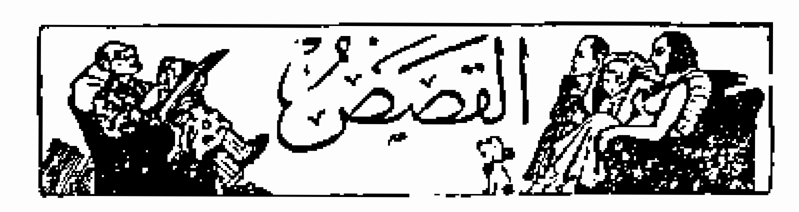
والتم طائر أبيض ، أرستوقراطي الشكل ، كان يعتبر في كثير من الممالك الأوربية طيراً ملكياً ، ولا يحق لأحد غير الملك أن يقتنيه إلا بإذن ملكي خاص .

ومن التم ما يسمى بالصفَّر Whistling Swan ، فهو يصفر صفيراً ملحناً ، ويشدو بأنغام جميلة جداً ، ويشتد غناؤه إذا ما جرح أو وقع في ضيق .

يروي أهل الغرب أسطورة عن هذا الطير بقولهم أنه يغني اللحن الأخير قبل موته ، ومن هنا جاء قولهم (أغنية التم) أي آخر عمل يقوم به الفنان وهو مشرف على أبواب الأبدية ، ومن هنا جعل شكسبير أميليا تقول في (عطيل) « سأمثل دور التم وأموت في الموسيقى » .

فالبجعة هي طير الـ Pelican والتم هو طير الـ Swan فهل لنا أن نميز بينهما ؟

(الباسول – قبرص) نجاتي صدقي



انهيار جـــدار

مترجمة عن الإنجليزية

بقلم الآنسة سلوى الحوماني

كان ضحى يوم من أيام نوار الضاحكة وقد أشرقت الطبيعة بابتسامة الربيع، فرفلت الحقول بحلله الزمردية المزركشة، وعبق الجو بأنفاس الزهور العطرة. وانطلقت الطيور صادحة تبني أعشاشها على أفنان الشجر وبين العشب النامي في مرتفعات الأرض التي بدت بانحداراتها كستائر من السحر أو كلوحات فنية هي أروع ما أبدعت يد عبقري.

في ذلك اليوم المشرق، وفي حقول قرية «هاوتون»، كانت «جيزيا أوين» القروية الحسناء تحدو مسرعة إلى تلك القرية وقد حملت سلة بيض توصلها إلى السيدة «رسكوف» العجوز كهدية من إنتاج طيورها التي تفننت في تربيتها في مزرعة أبيها الوسيع.

كانت جيزيا تبدو آية من آيات الفن بثوبها الأزرق البديع المنسق بقدها السمهري زهو وخيلاء، وقبعتها الباريسية الأنيقة التي علت رأسها الجميل تحاكي زهور الأرض روعة وجمالاً. فكأنما كانت تلك القروية مرآة للربيع النضر الزاخر بالحياة، فساقت من تراء أبيها حلل الأناقة والفن يعينها على ذلك ذوقها السليم وجمالها الفتان.

كان جمالها حديث أهل القرية ومطمع عيون الشبان فيها ومعقد آمالهم، فتسابقوا عليها يطرحون بين يديها قلوبهم ومهجهم. فلم يرض واحد منهم طموحها، فضاقت بهم ذرعاً وطغى بها غرورها فراحت تسخر منهم وتهزأ بعواطفهم المحمومة ثم بالغت في القسوة حتى لم تتورع عن صب وعاء من الماء البارد على رأس هائم جاء يشكو إليها لواعج قلبه فلم ترثها لشمته ولهجته الحنان. وبعد أن استرد روعه من تأثير الماء طردته بالعنف وهي تربت على كتفه باسمة وتقول بهزء: ظننتك محموماً تهذي يا عزيزي فأسعفتك بالماء البارد.

وكذلك قصتها مع «ريف بارامور» زميلها في الدراسة ورفيق صباها الذي قطعت معه مرحلة الطفولة العابثة المرحة فلديها الملحة وفتشا أعشاش العصافير وكثيراً ما في حقول القرية يتلان لعبة «الاستخفاء» حتى إذا داعب الشباب قلبيهما بنسمات الحب، تطلعت الفتاة حولها حيرى، وسعى الشاب إليها يطرح بين يديها قلبه وماله ومستقبله. فصدمت بمنظره المتخاذل الذليل، وكلماته المترددة المتلعثمة، ولهجته البلهاء المتهالكة، فطردته شر طردة هازئة ساخرة.

ولكن هذه المعاملة لم تزد الفتى إلا حباً وهياماً. بل أن هذا الحب ظل يضطرم ويشب مع الأيام كلما ازدادت الفتاة حياله بروداً ونفوراً.

ولنعد الآن إلى جيزيا وهي تقطع تلك الحقول مسرعة إلى قرية هاوتون. ووقفت في منعطف يؤدي إلى الطريق العام تفكر في أي الطريقين أقصر إلى القرية. فرأت أنها إذا اتبعت الطريق العام فسيكون عليها أن تقطع مسافة ميلين لتصل إلى بيت السيدة رسكوف في تلك القرية. ولكن إذا اختصرت فسلكت هذا الحقل الوعر الذي ستعترضها فيه انحدارات خطرة وكثير من النباتات المتشابكة وسقوف من الجيطان المترنحة الواهية البناء، بذلك تستطيع أن تصل إلى القرية في أقل من ربع ساعة.

قالت: هذه حقول ريف بارامور، وأعتقد أنه ليس فيها اليوم فسأغامر وأقطعها لأني متضايقة من الحر فلا أستطيع المشي طويلاً في الطريق العام.

ووضعت السلة من يدها وجعلت تزحف بين النباتات البرية النامية وخلال الأغصان المتشابكة حتى كانت بعد دقائق على ضفة جدول كبير تجتازها بحذر وتماسك لئلا تزل قدمها وتقع فيه. ووصلت إلى رأس منبعه حيث يتفجر من خلال كومة من حجارة رملية فتسلقتها بخفة وقفزت إلى حقل قمح منبسط انطلقت تمشي فيه براحة واطمئنان يغمرها النبات المتطاول، حتى رأت أمامها حائطاً عالياً يعترض طريقها.

كان هذا الحائط صعب التسلق لضعف بنائه وتداعي حجارته . ولكن هذا لم يثبط من عزمها ولم يضعف همتها وهي الفتية النشيطة ، فلم تحفل أمامه ولم تحجم عن تسلقه . فوضعت سلة البيض على حجر ثابت فيه ، وبدأت تصعد بخفة ونشاط . ولكن راعها أن رأت خطر الصعود أشد مما كانت تتصور ، فكانت تنوء حجارة الكلس تتفتت تحت قدميها حتى كادت تهوي إلى الأرض لولا جهد المستميت .

وكادت أن تصل أعلى الحائط عندما هلع قلبها وهي تراه قد بدأ يميد بها ويهتز تحت ثقلها فما أحست إلا وهي ترى بنفسها إلى الأرض وقد انهار من ورائها .

ونهضت مذعورة فزعة ، ولكن سرعان ما زال خوفها وانبسطت أساريرها ولمعت عيناها بخبث وهي تنظر إلى الجدار المنهار ثم قالت بحقد وتشف : أنه سيكون شغلاً مناسباً لريف الأبله أن يعيد بناءه ، ولسوف أهدمه ثانية وثالثة ، أيضاً كلما بناه ، فالتعب هو أنجع دواء للحمقى الآثمين أمثاله .

ولدى آخر كلمة قالتها إذا بعينيها تتسع ذعراً وتند عنها صيحة مكبوتة عندما حانت منها التفاتة فرأت من ورائها تماماً ريف بارامور .

لقد كان ريف بعينه جالساً إلى جذع شجرة منهمكاً في صنع أوتاد خشبية . وكان ينظر إليها وعلى فمه ابتسامة الظفر .

فأسرعت جيزيا واختطفت سلة البيض وركضت هاربة . ولكن ريف قفز وراءها يتبعها بخطوات واسعة ويقول: لقد سمعت كل ما قلت يا جيزيا ، ولا أظن أنك بهذا العمل على شيء من النبل أو اللطف ، ولكن على أي حال فأنت تعرفين العادة في تربتنا التي تحتم على من يهدم جداراً أن يبنيه بنفسه ، لذلك فأنت الآن يجب أن تبنيه كما هدمته .

فوقفت جيزيا تنظر إليه بازدراء وتحداء قائلة: كلا لا أريد أن أبنيه .

فقال ريف بتهكم : ولكنك ستبنينه لأني سأجبرك على ذلك .

فغاض لونها وقالت : إن سخرية الأقدار أن تكون أنت أول رجل يجبرني على عمل لم يخطر لي على بال . تنح جانباً ودعني أذهب .

قال كلا لن أفعل ، فأنت معتدية ، والمعتدي يجب أن يدان ، وأنا الذي سأدينك بأن أكرهك على بناء الحائط بنفسك .

فقالت بصوت مختنق : إذا فعلت هذا فسأملأ الدنيا صراخاً.

فقال بتهكم : إصرخي ما شئت فلن يسمع صراخك في هذا الحقل النائي أحد غيري .

فلم تجد جيزيا بداً من التنازل عن كبريائها فقالت بلهجة التوسل : ليس من النبل والرجولة في شيء أن تجبر فتاة مثلي على هذا العمل الشاق يا ريف . أنا لم أخلق لبناء الجدران .

وكأن لهجتها الرقيقة هذه قد حركت أوتار قلب ريف ، فتبدلت ملامح وجهه فجأة وجعل يتفرس فيها برهة ثم قال : إن بناءك للحائط سيكون لك درساً في إذلال كبريائك ، أذللت كبريائي من قبل بطردي من بيتك ، أتذكرين . ؟ والآن هيا اشرعي في البناء .

فرأت أن لا تخفف توسلاتها من عناده شيئاً . ولأول مرة في هذه المناقشة رفعت رأسها إليه تتأمله بإمعان . فتصنع هو الصرامة والعبوس . وتقلصت عضلات وجهها إشمئزازاً من خلقته . يا لله ما أغلظ هذا المخلوق الواقف أمامها بوجهه الكالح المكفهر وقامته المتخاذلة وثيابه الخشنة التي تتصبب عرقاً ! إن ظنها لم يخب في أنه أبشع رجل في العالم ، وأقسى رجل أيضاً . ما أقسى هذا الجنس وأظلمه ، لقد اقتنعت الآن فقط أن الرجال أفظع المخلوقات وأنه لا يوجد واحد منهم جدير باسم رجل .

وأحست بأن أعصابها تكاد تنفجر غيظاً فأشاحت بوجهها عنه حانقة ، ولمعت عيناها حقداً ، وارتجفت شفتاها في ثورة مكبوتة . ودمدمت بحدة قائلة : إنني أمقتك يا هذا ، أنت تريد أن تقضي علي بهذا العمل ، فأنا لست رجلاً حتى أستطيع بناء الحائط .

فانفجر ريف ضاحكاً وقال : إنك تجورين علي بهذه التهمة يا جيزيا . فما أردت بإجبارك على بناء الحائط إلا تلقينك درساً عملياً في احترام كبرياء الغير كما أخبرتك الآن . أما وأنت تصرين على الاعتقاد بأن هذا العمل سيقتلك حتماً ، فأنا لا أريد أن أحمل ضميري وزر قتلك . لذلك فإني سأساعدك في بنائه ، سأجنبك المهمة الشاقة فيه فأجمع الحجارة الكبيرة الثقيلة وأنت عليك جمع الصغير منها .

لم تجب جيزيا بكلمة ، ولكنها جعلت تنزع قفازها الأنيق بألم وقنوط ثم بدأت تشتغل بتثاقل وصمت والدموع تترقرق في مقلتيها.

وابتسم ريف بخبث وهو يرى عملها البطيء وأحجارها التي

لا يزيد أحدها عن حجم التفاحة .

واستمرا يشتغلان دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة حتى تم بناء صفين من الحجارة وكان الوقت قد صار ظهراً فقال ريف : يظهر أن بناء الحائط سيستغرق معنا يوماً كاملاً ، والآن قد حل وقت الغداء فهيا إلى ظل الشجرة لنتغدى معاً بما كنت أحضرته من خبز وجبن .

فقالت هامسة في استنكار : أنتغدى معك تحت الشجرة . ؟ ولكن ماذا يقول الناس عني إذا عرفوا . ؟ بربك أعفني من هذا . فأجابها وقد عاد إلى تقطيبه : بل يجب أن نتغدى معاً فسوف لا أخبر أحداً بذلك .

ورأت جيزيا نفسها مجبرة على طاعته فانقادت له صاغرة . ولم تستطع ازدراد الطعام لانفعالها ، وأحست به يلتصق بحنجرتها فقامت متظاهرة بالشبع تبغى العودة لعملها .

ولكن ريف استبقاها إلى جانبه قائلاً : أنا معتاد أن أدخن غليوناً بعد الوجبات . دعينا نستعيد ذكريات الطفولة في هذه الأثناء . أتذكرين عندما كنت أتسلق أعالي الأشجار لأجلب لك العصافير من أعشاشها ..؟

فنظرته جيزيا بنظرة حانقة لهذا الأسلوب الكريه الذي يحاول أن يستميلها به ثم مشت عائدة إلى عملها دون أن تنبس بكلمة .

ولاحظ عليها ريف أنها نشطت في عملها عما قبل ، فراحت تسرع في جمع الحجارة قلقة وجلة كلما انحدرت الشمس نحو المغيب، فقابل هو إسراعها ووجلها بالبرود والبطء في عمله دون رحمة أو شفقة . حتى إذا ما قارب النهار الزوال ، ورأت الحائط لم يتم منه النصف ، نظرت حولها جزعة ، ثم ارتمت على الأرض تبكي بحرارة .

وفوجيء ريف ببكائها الذي لم يكن يتوقعه منها وهي العنيدة الصلبة . فشعر بخطئه في تلك المعاملة القاسية لها فتألم واضطرب خوفاً من سوء العاقبة . وقال يخاطبها برقة : جيزيا ما بك . ؟ أعتقد أنني أتعبتك كثيراً . في وسعك أن تذهبي الآن وأنا سأكمل بناء الجدار وحدي .

ولشد ما كانت دهشته عندما رآها تهب واقفة قبل ان يتم كلامه وتمسح دموعها بسرعة وتعود إلى عملها نشيطة في جمع الأحجار أكثر مما كانت عليه . فردد في نفسه : يا لهذه الفتاة الصلبة ! إن كبرياءها لم تتحطم بعد ، فهي تأبى مظاهر الضعف والذل في بكائها الذي استدر عطفي .

وأحس بالشفقة نحوها ، فراح يساعدها بهمة لا تعرف الكلل حتى تم بناء الحائط بعد ساعتين .

عندئذ أسرعت جيزيا وقبل أن تلتقط أنفاسها ، إختطفت سلتها بحركة عصبية وراحت مهرولة في طريقها إلى القرية . كانت صامتة واجمة شاحبة الوجه تعتسف طريقها الشائك مستجمعة قواها المحطمة .

وشعر ريف بالندم وهو يراها في هذه الحال المؤلمة ، وأنبه ضميره بشدة وعصر قلبه الألم فأسرع وراءها يصيح معتذراً : جيزيا إنني أسألك المعذرة .

فوقفت جيزيا ووضعت سلتها على الأرض وبسطت أمامه يديها تقلبهما لتريه أصابعها الدامية وبشرتها التي شوهها العمل وملأها بالخدوش والجروح .

فاغرورقت عينا ريف بالدموع وقال : يا خالق السكينة هلا صفحت عني ..؟

وكأن لهجته الرقيقة المتوسلة قد لامست أوتار قلبها فمحت منه كل حقد واستياء وتبينت فيه الإعياء الشديد . فنظرت إلى وجهه المكدود وجسمه المرهق من عناء العمل فشعرت بخطئها في هدم الحائط وخلق هذه المتاعب لهذا الرجل البريء . فنظرت إليه بعطف وقالت متلعثمة : وأنت أيضاً تعبت مثلي في بناء الحائط ياريف ، وأنا كنت السبب ولكن أعدك بأني لن أهدم لك حائطك بعد . فاقترب منها ريف وأمسك بذراعها قائلا برقة : ما كنت لأشطرك لبناء الحائط لولا حبي لك يا جيزيا . إنها فرصة خلقتها للتمتع بقربك يا حبيبتي بعد طول نفورك .

وحركت مشاعر جيزيا لهجة ريف العذبة ، واستهوتها ثانيته تلك . استهواها هذا الحب المحموم وهذه العاطفة الجياشة حيالها . ورأت تلك الشخصية الضعيفة المتخاذلة وتلك اللهجة المترددة الخائفة حين باح لها بحبه أول مرة فاستثار نقمتها حتى طردته ، رأت الآن كل هذا يتوارى خلف هذه اللهجة العذبة ممتزجة بهذه الشخصية القوية الجبارة التي فرضت عليها طاعته وأرغمتها على المضي لرغبته . رأت كل هذا فأحست بأن هذه الشخصية القوية الرقيقة ، الناعمة الخشنة ، القاسية اللينة قد ملكت قلبها . فأغمضت عينيها نشوى ثم مالت عليه تدفن رأسها في صدره هامسة : لقد بدأت أحبك يا ريف .

فطبع ريف على فمها قبلة فاتحة عهد جديد .

سلوى الرماني

مطبعة الرسالة